وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة"الدكتور يحي فارس" المدية

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية

1897_1924م

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

سارة خنوش

المشرف:

اللأستاذ الدكتور :الغالي غربي

السنة الجامعية 2015/2014


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

اعترافا لذوي الفضل بفضلهم تتقدم الطالبة

بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور الغالي غربي ليس فقط لإشرافه على هذا العمل وإنما لما أجاد به علينا طيلة سنتين من الدراسة

الشكر إلى الأستاذة نادية طرشون

إلى الأستاذ مولود قرين

الأستاذة لطيفة حمصي

الأستاذ جمال الدين سهيل

إلى الأستاذ أحمد السليماني

إلى أساتذتي بجامعة بوزريعة الذين كان لهم الفضل الكبير في إتمام هذا العمل الأستاذ يحياوي، الأستاذ دحماني، الأستاذ نويصر والأستاذة كريمي

وإلى كل من ساعدني على إخراج هذا العمل المتواضع

جعله الله في ميزان حسناتهم.

الإهداء

إلى **الوَالِدَيْنِ الكَرِيمَينَ** حفظهما الله وأمد في عمرهما

إلى إخوتي

إلى أستاذتي الغالية الفقيدة "**زكية زهرة**" **رَحِمَهَا الله**

إلى جميع أساتذتي بجامعتي المدية وبوزريعة

إلى زملائي في الدفعة

إلى كل من أُحِب

أهدي عملي هذا.

شهد القرن التاسع عشر الميلادي انقلاب موازين القوى العالمية، فالمنتصر بالأمس عسكريا تخلف قوميا وحضاريا، والمنهزم عسكريا فتح عيونه على كنوز الحضارة، ودخل عالم التمدن والتطور من أوسع الأبواب، ومن ثمة انتصر قوميا وحضاريا.

تلك هي الحالة الحرجة التي عرفتها الدولة العثمانية في القرن المذكور، في حين كانت الدول الأوروبية تتطور وتتوسع وتثبت وجودها، كانت الإمبراطورية العثمانية زعيمة العالم الإسلامي تتقهقر وتتخلف، وتفقد وزنها العالمي

بدأت تتجلى علامات ضعفها في النكسات الحربية التي تكبدتها على يد الجيوش الأوروبية، وازدادت حدتها في عصر السلطان عبد الحميد الثاني(1876_1909م)، رغم أنه يعتبر أعظم سلاطين الدولة العثمانية في ذلك العصر، حيث صمد في وجه التحديات الخارجية و الداخلية أكثر من ثلاثين سنة إلا أن التآمر الدولي و الصهيوني والقومي حال دون إنقاض الدولة من الانهيار.هذه هي الفترة التي أردت أن تكون بداية لدراسة موضوعي الذي هو:**"دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية"** (**1897–1924م**).حيث يمثل عام 1897م تاريخ بداية تأسيس الصهيونية رسميا في مؤتمر **بال الأوّل**بسويسرا، وأما عام 1924م فيمثل تاريخ سقوط الخلافة الإسلامية وتأسيس الجمهورية التركية برئاسة " **كمال أتاتورك** "، وخلال هذه الفترة الزمنية التي تتجاوز الربع قرن كان للصهيونية فيها دور كبيير وبارز على كل المستويات (الإقتصادية، السياسية.....)، رغبة منها في تحطيم وتفكيك الدولة العثمانية، حيث أنها اختفت وراء العديد من المنظمات السرية منها والعلنية، وتذرّعت بمختلف الأسباب والتوجهات، بينما كانت تحمل في طياتها الكثير من الأهداف والغايات،فقد استطاعوا الدخول والتغلغل في العديد من المجالات وهذا لتعبيد الطريق نحو القضاء على الدولة العثمانية.

كل هذا وذاك مكن الدول الإستعمارية واليهود من تحقيق ما عمدت إليه من زعزعة لأركان الدولة العثمانية من خلال ضرب إستراتيجيتها العسكرية والسياسية في الحرب العالمية الأولى، وهذا للقضاء عليها نهائيا، وتقسيم تركتها على الدول الاستعمارية، بتوالي الاتفاقيات والمعاهدات السرية منها والعلنية للاستيلاء على ما تبقى لها بعد الحرب.

وما مصطفى كمال أتاتورك إلاّ شخصية لفها الغموض أو الضغط، أو... ؟ لتحقيق وتنفيذ آخر خطوة من المخطط الصهيوني بإلغائه الخلافة الإسلامية وطرده لآخر خليفة عثماني وهو عبد المجيد

الثاني وجميع آل عثمان إلى بلدان متفرقة، لتصبح البلاد الإسلامية مسرحا للتنافس الاستعماري الحديث، وبهذا يكون اليهود قد حققوا مآربهم.

دوافع اختيار الموضوع

إن هذا الموضوع لم يعط حقه من الدراسة، مما جعلني أحاول التعمق والإحاطة بعديد جوانبه، رغبة مني في تقديم معلومات تاريخية من أجل إثراء المعرفة العلمية لدى الباحثين والمثقفين الراغبين في معرفة دور الصهيونية في سقوط الدولة الإسلامية، وكذا دراسة أوضاع الدولة العثمانية التي دفعت بالدول الاستعمارية إلى التربص بها ومن ثمّ إسقاطها.

أهمية الدراسة:

إن أهمية الموضوع تظهر في إبراز الدور الكبير الذي لعبته الصهيونية في إضعاف وإسقاط الدولة العثمانية، وكذاالدور الذي لعبته الدول الإستعمارية من خلال دعمها لتحقيق مشاريع الصهاينة.

الإشكالية:لقد تمحورت إشكالية دراستنا على النحو التالي :

إلى أي مدى بلغ دور الصهاينة في الإطاحة بالدولة العثمانية؟.

من خلال هذا نطرح التساؤلات التالية:

- ✓ هل للتسامح الذي منحته الدولة العثمانية لأهل الذمة أثر في تغلغل اليهود داخل أركانها؟؛
- ✓ ما هو دور فئة الدونمة للإطاحة بالدولة العثمانية؟؛
- ✓ هل بدأت الصهيونية طريقها نحو القضاء على الدولة العثمانية وحدها؟، أم هو تكملة لمهمة يهودية؟؛
- ✓ هل للدعم الذي قدمته الدول الأوروبية خاصة بريطانيادور كبير في إسقاط الدولة العثمانية؟ أم لليهود النصيب الأكبر في ذلك؟.

منهج الدراسة:

ولدراسة هذا الموضوع اتبعت المنهج الوصفي التحليلي لمعرفة العلاقات التاريخية بين اليهود والعثمانيين،في وصف وتحليل الأحداث والوقائع التي استغل فيها يهود الدونمة التسامح الديني لينقلبوا ضدّ الدولة التي احتضنتهم وحمتهم من قهر محاكم التفتيش.

خطة الدراسة:

اشتملت دراستي بعدالمقدمة والتمهيد على أربعة مباحث إضافة إلى الخاتمة.

التمهيد: تطرقت فيه إلى الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة العثمانية إبان فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م).

المبحثالأول:والذي ناقشت فيه ماهية الصهيونية وأساليب تغلغلها داخل الدولة العثمانية والتي كانت اقتصادية وسياسية وتطرقت كذالك إلى عنصر مهم وهو الهجرة اليهودية إلى البلاد العثمانية كأسلوب مباشر للتغلغل.

المبحث الثاني:فتناولت فيه مظاهر الدعم الأوربي للحركة الصهيونية والذي انقسم إلى الدعم المادي، السياسي وكذا الإعلامي.

المبحث الثالث: والذي جاء تحت عنوان تنفيذ المخططات الصهيونية ،فتحدثت فيه عن دور المحافل الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي في خدمة المصالح الصهيونية ،بالإضافة إلى دور الصهيونية في ضرب الإستراتيجية العسكرية للدولة العثمانية بإقحامها في حرب ليس فيها مكسب ،وهي الحرب العالمية الأولى "، وأخيرا وعد بلفور 1917م"،فحاولت أن أدرج فيه جهود الصهاينة قبل إعلان هذا الوعد ثمّ إلى الوعد وكيف حققه الصهاينة بدعم أورو أمريكي.

المبحث الرابع: الذي كان خاتمة عملي والذي تمثل في بروز شخصية كمال أتاتورك كأداة لتحقيق أهداف الصهيونية والدول الاستعمارية ،بالإلغاء الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية التركية .

وبالنسبة**لخاتمة** الموضوع فقد اشتملت على إبراز ما توصل إليه البحث من نتائج وحقائق تاريخية تثبت دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية.

مصادر الدراسة:

لقد حرصت على استقاء مادة هذا البحث من مجموعة من المصادر التي كتبها أشخاص عايشوا الحدث بدرجات متفاوتة وحتى شخصيات صنعت الأحداث التاريخية مثل مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني (مذكراتي السياسية)،مذكرات تيودور هرتزل (الدولة اليهودية) وكذا مذكرات الأميرة

عائشة (والدي السلطان عبد الحميد)، بالإضافة إلىاطلاعي على مجموعة من الدراسات التي كانت عونا لي في إنجاز هذا العمليمكن ذكر:

رسالة هيلة بنت السعد السليمي: وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان "**دور اليهود في سقوط لدولة العثمانية** "،إلا أن هذه الدراسة كانت عامة حول فئة ليهود كاملة فلم يكن للصهيونية إلا جزء من دراستها؛

مؤلف لحسن علي الحلاق:المعنون ب "**دورالصهيونية في خلع عبد الحميد الثاني** "ورغم أهمية هذا المؤلف إلا أنه ركز على السلطان عبد الحميد في شخصه وعلاقته مع الصهيونية بالإضافة قصر المدة التي تطرق إليها من (1908-1909م) وبهذا لم يتطرق إلى دور الصهيونية في إسقاط الدولة العثمانية؛

رفيق شاكر النتشة: صاحب كتاب "**السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين**"، حيث تطرق فيه الكاتب إلى أوضاع الدولة في عهد السلطان عبد الحميد ، وكذا قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

"وفي الختام لايسع الباحث إلا أن يسال الله التوفيق"

تمهيد: أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

لقد كانت الدولة العثمانية عند وصول السلطان عبد الحميد الثاني إلى الحكم عام **1876م** تعيش أوضاعا صعبة، حيث كثرت فيها الإضطرابات الداخلية وكذا دخولها في حروب مع الدول الأوروبية، وهذا ما وضع السلطان في موقف أجبره على التعامل مع هذه الظروف دون التأثير على مكانة الدولة العثمانية وهيبتها أمام القوى الأوروبية.

وقبل التطرّق إلى أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لا بد من إعطاء تعريف وجيز لهذه الشخصية[1] التي تركت بصماتها على أخاديد الزمان وكذا على خارطة المشرق العربي الخاضع للسيطرة العثمانية آنذاك، كونه أهمّ شخصية إسلامية غير عربية واجهت الخطر الصهيوني ومحاولاته الإستيطانية في مشرق الوطن العربي على الرّغم من صعوبة الظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية داخليا وخارجيا[2].

التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني:

ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء **16** شعبان **1258**ه الموافق ل **22**ديسمبر **1842**م هو الولد الثاني للسلطان عبد المجيد الأوّل الذي حكم من (**1773**م– **1788**م)، بعد وفاة أمه تولت تربيته **برمستو أغادين أفندي** الزوجة الرابعة للسلطان عبد المجيد التي كانت عاقراً فأحسنت تربيته، وفي يوم الخميس المبارك الحادي عشر من شهر شعبان سنة **1293ه** الساعة **الرّابعة** و **ثلاثون دقيقة** جلس إلى السلطة الوارث الشرعي ولي النعم السلطان عبد الحميد خان الثاني[3] وعمره **34** سنه، حيث تميز بحدّة ذكائه، وعدم اندفاعه وراء الملذات، وكذا تمسكه بالدين[4]، كان دائم الشك في المحيطين به فلا

(1) انظر الملحق رقم 1.

(2)نجم عبد الأمير الأنبا ري، "عبد الحميد الثاني والإستيطان الصهيوني في الولايات العربية من مشرق الوطن العربي مناطق الاختيار للإستيطان فلسطين والعراق"، **مجلة التراث العلمي العربي**، العدد الأول، كلية الهندسة، جامعة بغداد، 2014، ص22

(3)إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988، ص 221.

(4)سليم رجب محمد، **السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في مواجهة الصهيونية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة عمر المختار، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2011 2012م، ص3.

يطمئنّ لأحد، كان بسيط الملبس[1]، عرف عنه أيضا حنكته السياسية، كان يدرك كلّ ما يدور من حوله، يتابع كلّ صغيرة وكبيرة من قضايا الأمة، كان على علم قوي بالشؤون الأوروبية، ارتكزت سياسته الخارجية على السلطة المركزية، وكذا التوازن، الإعتدال، الإستقلالية، وعدم الإنحياز، بالرغم من أنه ورث العرش عندما كانت الدولة تمر بأوضاع سياسية، إقتصادية وإجتماعية مزرية إلاّ أنه عرف كيف يسير الأمور، وهذا ما أمد في أجل سقوطها، وقد دامت فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني **ثلاثة وثلاثين سنة** أي من **1876–1909**م.[2]

1) الأوضاع الداخلية:

الأوضاع الإقتصادية:لقد ورث السلطان عبد الحميد الثاني أوضاعا اقتصادية مزرية، حيث وجد الخزينة فارغة عند اعتلائه العرش، وفي عهده أعلن عن إفلاس الدولة العثمانية.

الأزمة المالية:

لقد مرّت الدولة العثمانيةبأزمة مالية خطيرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وما قبله، وقد بلغت هذه الأزمة حدا يصعب احتماله، حيث تجاوزت الديون الخارجية لها خلال الفترة **1805–1874م** إضافة إلى الفوائد التي ترتبت عليها نصف الإيرادات هذا فقط على القروض الداخلية[3]، فقد كانت الخزينة خاوية الأمر الذي دفع بالحكومة إلى التفتيش باستمرار عن مصادر مالية جديدة للقروض حتى وإن كانت شروطها غير ملائمة[4]، كل هذا أدى بالدول الأوروبية إلى استغلال ديونها لدى الدولة العثمانية من أجل الضغط عليها، كما قامت الدول الأوروبية أيضا إلى عقد العديد من المؤتمرات التي ترمي من خلالها إلى الحصول على المزيد من المكاسب السياسية والإقتصادية، وتزيد من

---

(1)الأميرة عائشة عثمان أوغلي، **والدي السلطان عبد الحميد، نقله إلى العربية**: صالح سعداوي صالح، ط 1، دار البشير. عمان، 1991، ص 39 وما بعدها.

(2) فدوى نصيرات، "السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في تسهيل السيطرة الصهيونية على فلسطين (1876–1909،**المستقبل العربي**، العدد 40، الأردن، ص 39.

(3)Le duk de valmy**. Question d'orient capitulations européennes. Imprimerie de l**.tinterlinparis. 1856. P p 5- 6

(4) فدوى نصيرات، مرجع سابق، ص 39.

تدخلها في شؤون الدولة العثمانية[1]، وعند تولي عبد الحميد الخلافة كانت الدولة غارقة في الديون التي بلغت أكثر من **2.5** مليار ليرة عثمانية وكان عليه أن يقوم بما يجب من أجل مواجهة هذه الأزمة، فقام باستقدام خبراء ماليين من أجل حلها، ولهذا يعتبر السلطان عبد الحميد الثاني من أعظم سلاطين الدولة العثمانية وهذا لما قام به من أعمال جليلة من أجل إنقاذها من الإنحطاط[2].

الأوضاع السياسية:لقد شهدت السياسة الداخلية للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عدة تغيرات أهمها:

إعلان الدستور1876م:

عندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم فقد كان الحكم الدستوري هو الموضوع الذي انشغلت به الأوساط السياسية وأوساط المثقفين في البلاد،[3] وكان رأي الصدر الأعظم مدحت باشا[4] أنه إذا تحقق ذلك وتشكل مجلس يعترف بوضع جديد للمسيحيين، ووضعت الضمانات المسيحية والدستورية للمساواة بين رعايا الدولة دون النظر إلى أديانهم فلا شكّ أنّ ذلك سيخفف من وطأة الضغوط الدبلوماسية التي تمارسها الدول الأوروبية على الدولة العثمانية، وهذا لم يكن المقصد الوحيد من إعلان الدستور، بل كانت هناك حاجة ماسة لربط إدارة الدولة وعجلة

---

(1) رفيق شاكر النتشة،**عبد الحميد الثاني وفلسطين**، ط 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991، ص 51.

(2) إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط 1، مكتبة العبكان، الرياض، 1996، ص

(3)أكمل الدين إحسان أوغلي وآخرون، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تعريب: صالح سعداوي، ج2، ط1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999م، ص 19.

(4) مدحت باشا: اسمه أحمد شفيق، ومدحت مخلصة الذي اشتهر به سياسي تركي من يود الدونمة/ ولد في إسطنبول عام 1238هـ/ 1822م، تعلم العربية والفارسية، كان متأثرا بالأفكار الغربية، تولى العديد من الوظائف إلى أن أصبح وهو في الأربعين من العمر واليا على بلغاريا، ثمّ على بغداد، وفي عام 1872 عين صدرا أعظم في الدولة (رئيس الوزراء) في عهد السلطان عبد العزيز، وفي عام 1876 تمكن من الإطاحة بالسلطان عبد العزيز باتفاق مع إنجلترا وفرنسا، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني عينه صدرا أعظم للمرة الثانية، لكنه أقاله من هذا المنصب عندما تبين له أنه على اتصال مع إنجلترا، ثم حوكم بتهمة المشاركة في قتل السلطان عبد العزيز وحكم عله بالإعدام، لكن السلطان اكتفى بنفيه إلى الطائف حيث توفي هناك. —جورج أنطونيوس: **يقظة العرب**، تعريب: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1389هـ/ 1969 م، ص 129.

إصدار القرار السياسي بمبادئ ونظم محدودة، أضف إلى ذلك كان قد وجب بناء دولة على أسس اجتماعية أكثر صلابة عن طريق المشاركة التي تتوفر لنواب الشعب في صياغة القرار السياسي.

في مثل هذه الظروف الداخلية والخارجية أصدر السلطان عبد الحميد الثاني أوّل دستور للدولة عرف وقتها بالقانون الأساسي،وعرفت الفترة التي واكبها باسم "عهد المشروطية الأولى"[1]، وقد أعلن القانون الأساسي (الدستور) بصورة رسمية في1876/12/23م، وسمي أيضا "بعهد الديمقراطية المتوجة"[2]. لم يدم هذا الدستور طويلا بسبب الظروف التي أحاطت بتولي عبد الحميد العرش وعدم ثقته في كفاءة ونزاهة ساسة الباب العالي، إضافة إلى الأزمات الداخلية والخارجية التي ألمت بالدولة[3].

أما بالنسبة لصاحب الفكرة وصانع الدستور فهناك من يرى أنّ الدستور كان من صنع مدحت باشا، بينما يرى آخرون أنه من صنع عبد الحميد نفسه، إلاّ أنّ أغلب الدراسات التي كتبت في هذا الصدد تقول أنّ هذا الدستور جاء نتيجة اتفاق وتنسيق ظهر عقب مناقشات ودراسات جرت بين صفوف المثقفين ورجال الدولة وبين السلطان عبد الحميد الثاني[4].وكان الهدف من هذا النظام انتهاج سياسة خارجية تقوم على أساس الحياد وتوطيد علاقات الصداقة مع الدول المجاورة. وسياسة داخلية ترمي إلى تطوير المرافق العامة،وكذا زيادة حجم الإنتاج وتوسيع الوعاء الضريبي.تسديد الديون الخارجية والتي تعتبر أهم شيء وهذا بانتهاج سياسة مالية محكمة تضع الدولة العثمانية في المكان الذي يليق بها، و إقامة نظام قضائي فعّال.وبهذا أثبت السلطان عبد الحميد الثاني أنّه كان سياسيا ماهراً، وإداريا ذا دراية واسعة بشؤون الحكم[5].

(1) عائشة عثمان أوغلي، مصدر سابق، ص ص 19 20.

(2)يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: د: محمود الأنصاري، المجلد 2، ط 1، شركة الهلال، إستنبول، 1990، ص 102.

(3) إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 185.

(4)في هذا الصدد كتب سفير إنجلترا السيد هنري إلى حكومته عن هذا الأمر في ربع عام 1876 قائلا: ابتداءً من الباشاوات إلى الحمالين في الشوارع، وربانية الزوارق في البسفور لم يعد أحد يخشى من إبداء رأيه، فكلمة دستور على كل شفة ولسان، وإذا رفض السلطان أن يحقق شيئا لشعبه، فإن محاولة عزله تبدو أمرا محتوما... —أنظر: رفيق شاكر النتشة، المرجع السابق، ص 45.

(5) عائشة عثمان أوغلي، المصدر السابق، ص 22.

الإصلاحات السياسية ومشروع الجامعة الإسلامية:

التنظيمات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني:

رغم الظروف الحرجة التي تولى فيها السلطان عبد الحميد الثاني الحكم، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من إقامة تنظيمات شملت ميادين عدّة، لأنّ السلطان عبد الحميد لم يكن معاديا لأي إصلاح لا يهدد سلطته، وهو لا يريد من الغرب الحضارة لأنه كان يرى أنّ للشرق حضارته الإسلامية الخاصّة، وإنما كان يريد منهم فقط العلوم الحديثة، فالإسلام حسب رأيه لم يكن ضدّ التقدّم، ومن أبرز هذه التنظيمات نذكر:

التنظيمات في الجانب السياسي والإداري:

عمِلَ السّلطان على تطبيق المركزية الإدارية على جميع ولايات الدولة المختلفة، كما أصبح الوالي موظّفا من قبل السلطان مع تحديد صلاحياته العسكرية والمالية، وفي عهده تم إنشاء شنجقية بيت المقدس، وهي تابعة للباب العالي مباشرة وكان ذلك في سنة 1881م.

التنظيمات العسكرية:

أهم ما قام به السلطان في هذا المجال فصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية واستخدام القرعة في التجنيد على المكلفين بالخدمة العسكرية، إضافة إلى إستقدام خبراء عسكريين ألمان لتدريب الجيش العثماني، وكذا إرسال بعثات عسكرية إلى ألمانيا.

التنظيمات القضائية والتعليمية:

لقد امتدت يد الإصلاح إلى السلطة القضائية، حيث تمّ فصلها عن السلطتين التنفيذية والعسكرية، وانتشرت المحاكم العدلية على ثلاث درجات: إبتدائية، إستئنائية ومحكمة التمييز (النقض). أمّا بالنسبة للتعليم فقد أخذ حصّة وافرة من التنظيمات وهذا بإنشاء العديد من الكليات مثل: كلية العلوم، الآداب، الحقوق، العلوم السياسية، البيطرة، التجارة، الزراعة، وأيضا مدارس للصم والبكم، هذا إضافة إلى إقامة مدارس عليا في دمشق، بيروت، بغداد...، وكذا إيفاد بعثات علمية إلى

ألمانيا وفرنسا، وإنشاء مستشفى للأطباء[1]. إضافة إلى هذه الأعمال فقد قام السلطان عبد الحميد الثاني خلال فترة حكمه بمدّ السكك الحديدية (سكّة حديد الحجاز)، وأدخل الترام، التلغراف، وأنشأ إدارة للبريد،...

ولهذا يقول روبير مانتران: إننا نستطيع أن نرصد في عبد الحميد شخصيتان، منهما المستبد الذي لا يثق في أحد، ويطمح إلى التدخل في أبسط تفاصيل شؤون الدولة، الذي يجتهد في خنق صوت المثقفين، وكبت الطموحات القومية لسكان الإمبراطورية بكلّ وحشية، أمّا الشخصية الثانية فهي تعكس الرجل المتفتح على المستجدات، المولع بالأوبرات الإيطالية والعمارة الحديثة، الراغب في تطوير التعليم، تنظيم القضاء، وتحسين شبكة المواصلات بفضل السكك الحديدية والتلغراف...[2]

وقد أخذ الإعمار الشيء الوفير من اهتمامات السلطان عبد الحميد، حتّى قال عنه معارضه حسين جاهد: "لو كان الحكم يدوم بالإعمار، للبث عبد الحميد عمره في السلطنة".[3]

الجامعة الإسلامية: تعتبر من أبرز السمات التي تميز الدولة الحميدية عن دولة عهد التنظيمات في المكانة الجديدة التي يبدو أنّ الدين الإسلامي يحتلها فيها.فالواقع أنّه ينشأ في عدد معين من المجالات نوع من العودة إلى الدين، إذ يجري بناء عدد من المساجد وإعطاء مكانة أوسع للإسلام في البرامج المدرسية، ويلتف حول السلطان حشد من الوجهاء والدينيين من السادة والخواجات والملات،...، والسبب في قيام السلطان بهذه السياسة هو فشل فكرة العثمانية فهي لم تنجح في وقف تفكك الإمبراطورية، ومن الضروري العثور عن مبدأ آخر للتضامن وسوف يكون الإسلام هو هذا المبدأ.[4]

---

(1) إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص ص 187 188.

(2) روبير منتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: بشير السباغي، ج 2، ط 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص 169.

(3) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة**، د ط، وقف البحوث العثمانية، إستانبول 2008، ص 443.

(1) روبير متران، مرجع سابق، ص 174.

وكان **الهدف** من هذه السياسة هو تقوية مكانة السلطان عبد الحميد داخل البلاد وخارجها باستخدام الدين لمقاومة معارضيه في الداخل ومواجهة أعداءه في الخارج ،أما من الناحية الخارجية فإنّ هذه السياسة تعتبر سلاحا للضغط على الدول الأجنبية بإثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا وشمال إفريقيا ومسلمي الهند الخاضعين لبريطانيا والخاضعين لروسيا القيصرية[1]، ومن بين العلماء أو بالأحرى زعماء الإصلاح الذين تبنوا هذه السياسة ونادوا بها نذكر جمال الدين الأفغاني[2].

لقد لقيت الجامعة الإسلامية صيحة استجابة خارج الدولة العثمانية ،بوصفه_السلطان عبد الحميد الثاني_ زعيما للعالم الإسلامي كله وليس للدولة العثمانية فقط، والتف حوله العرب والمسلمون والفرس ،لتعضيد الخلافة والذود عنها دون قيد أو شرط. وكان من أبرز هذه الإنجازات تصفية موقف الخلاف بين تركيا وفارس وبين السنة والشيعة.ومن كلماته في هذا الصدد:" إن السم القديم لا يجب أن يسري في جسد آسيا القوي، وعلى السنيين والشيعة أن يتحدوا لمقاومة أوروبا في محاولاتها قهر العالم"، وقد حدث هذا عندما كانت الدول الأوروبية تترقب موت الرجل المريض لتقسيم التركة، ونعم ماقاله السيد جمال الدين الأفغاني في السلطان عبد الحميد:" إن السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم ذكاء ودهاء وسياسة، فلا عجب إذا رأيناه يذلل ما يقام لملكه من الصعاب من دول الغرب، إنه يعلم دقائق الأمور السياسية ومرامي الدول الغربية، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك مخرجا وسلما".[3]

---

(2) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 198.

(3)جمال الدين الأفغاني: (1838- 1897م) من مواليد كابل في أفغانستان، ثمّ توجه إلى الحجاز 1857 من أجل أداء فريضة الحج، وفي 1871 توجه إلى مصر ومكث ثماني سنوات، وكانت فترة مليئة بالنشاط السياسي والديني، 1879 سافر إلى الأسبانةواتقرّ في بلاط السلطان عبد الحميد الثاني لمدة خمس سنوات، 1883 اتجه إلى أوروبا حيث زار لندن وباريس، هاجم الإستعمار الإنجليزي بشكل بارز وفعال، طالب بضرورة تنفيذ الوحدة الإسلامية، طاردت السلطات الإنجليزية في مصر وغيرها وعطلت محلية العروة الوثقى وهي لا تزال في مهدها، ووضعت العقبات في طريقه أينما سار –حسان علي حلاق، **دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1908_1909)**، د ط، الدار الجامعية، بيروت، د ت، ص 23.

(1) أنور الجندي، **تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث– السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية–**، ط1، دار إبن زيدون للطباعة والنشر، بيروت 1407هـ، ص99 وما بعدها.

الأوضاع العسكرية:

مرت الدولة العثمانية إبّان حكم السلطان عبد الحميد بأزمات دولية هددت مصير الدولة العثمانية ووحدة أراضيها، فمنذ اليوم الأوّل الذي ارتقى فيه عبد الحميد عرش الإمبراطورية وجد أنّ ثورات تعمّ إقليمي البوسنة والهرسك.[1]

تمرّدات وثورات البلقان:

قام سكان الجبل الأسود والصرب بتحريض من بلاد الهرسك للخروج على الدولة العثمانية وكان ذلك في عام **1293هـ/ 1876م**، واستطاع العثمانيون إخمادها، ورغب السلطان في منع الدول الأوروبية من التدخل فأصدر قرارا لفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي، والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى، ولم يرضِ ذلك السكان فعادوا من جديد إلى الثورة التي قمِعت من قبل.

ثورات البوسنة والهرسك:

إنّ النمسا التي كانت وراء الثورة ورغبت في ضمّ البوسنة والهرسك، واستمرت في تحريض السكان ضدّ الدولة العثمانية، وقد عملت مع كلٍ من روسيا، ألمانيا، فرنسا وإنجلترا على الطلب من السلطان القيام بإصلاحات فوافق عليها السلطان، لكن نصارى البوسنة لم يتقبلوا ذلك.[2]

هذا ما يدل على أنّ المطالبة بالإصلاحات ليست مبرّرات واهية، وحقيقة الأمر أنهم يريدون التدخل في شؤون الدولة بشكل مباشر أو غير مباشر من أجل إضعافها والإطاحة بها.

ثورة البلغار:

كان قيام هذه الثورة موازيا لثورة البوسنة والهرسك، وهذا بدعم من النمسا ودول أوروبية خاصة روسيا، فقد تأسست جمعيات في بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النّصارى الأرثوذكس

(1) فدوى نصيرات، المرجع السابق، ص 28.

(1)علي محمد محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1421هـ/ 2001م، ص ص 108 109.

والصّقالبة، وكانت تدعمها روسيا وتمدها بالسلاح، وتبذل هذه الجمعيات بدورها جهدا من أجل إثارة سكان الصرب والبوسنة والهرسك ضدّ العثمانيين، وعندما أنزلت الدولة العثمانية بعض الأسر الشركسية احتجّ البلغار على ذلك فقاموا بثورة وساعدتهم في ذلك روسيا والنمسا بالسلاح والأموال، إلاّ أنّ الدولة العثمانية تمكنت من القضاء عليها، فأخذت الدول الأوروبية في إثارة الشائعات حول المجازر التي ارتكبها العثمانيون ضدّ النصارى والعكس هو الصّحيح. هذه الشائعات أدت بالحكومات الأوروبية إلى اتخاذ إجراءات صارمة ضدّ العثمانيين ومنها حصول البلغار على استقلال ذاتي وتعيين حاكم نصراني عليهم.

الثورة في الصّرب والجبل الأسود:

لقد شجعت كل من روسيا والنمسا وألمانيا الصرب والجبل الأسود للقيام بحرب ضد العثمانيين، حيث سعت روسيا إلى توسعة حدودها من جهة بلغاريا، أمّا ألمانيا فأرادت توسعتها من جهة البوسنة والهرسك، إلا أنّ الدولة العثمانية استطاعت الانتصار فتدخلت الدول الأوروبية وطلبت وقف القتال وإلا ستكون الحرب، واجتمع مندوبو الدول في إستنبول وقدموا اقتراحات للدولة أهمها:

تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين وولاّتهما من النصارى، وللبوسنة والهرسك نفس الإمتيازات، إلاّ أن الدولة العثمانية رفضت وعقدت صلحا منفردا مع الصرب.(1)

قال السلطان عبد الحميد الثاني في هذا الشأن: " رأيت أثناء مؤتمر الدول الكبرى الذي عقد في إستنبول ما عزمت عليه هذه الدول، وهي ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعايا المسيحيين بل تأمين الإستقلال الذاتي لهؤلاء الرعايا، ثم العمل على إستقلالهم التام، وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية.(2)

(2) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 189 وما بعدها.

(1)مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية**، تقديم: محمد حرب، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989، ص11.

قضية الأرمن:

اجترأ الأرمن[1] لمعاهدة برلين، فبدؤوا بالمذابح والتقتيل في شرق الأناضول من أجل تشكيل أرمينيا مستقلة (1313_1314هـ/ 1890_1891م)، إلا أن السلطان عبد الحميد قمع الإضطرابات الأرمينية بقوات "**الأفواج الحميدية**" التي شك[2]لها ومنع الدول الأجنبية من التدخل بسياسة خارجية في غاية الدهاء، فأشاع عنه الأرمن صفة "**السلطان الأحمر**" لشدته في التدابير المتخذة ضد عصيانهم، واستمر هذا النعت أنصار الإتحاد والترقي، ومن بعدهم شريعة تنعت نفسها بالثقافة في العهد الجمهوري، وقد استغل السلطان كل شيء فيه نفع مادي أو امتياز لإيقاف الضغوط الغربية في قضية الأرمن، وبهذا سحبت إنجلترا أسطولها المتقدم إلى مسافة تقرب من مضيق الدردنيل تحت التأثير الدبلوماسي.[3]

الحرب اليونانية ضد الدولة العثمانية:

لقد انتفخت اليونان زهوا بتزيين من الدول العظمى، فأعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية طمعا في أيالتي اسيرا (يانيا) وكريت، فانتصر الجيش العثماني على القوات اليونانية في معارك عديدة حتى وصل قريبا من أثينا، فطلبت اليونان الصلح بواسطة الدول العظمى، فكانت لهم الكلمة الأخيرة، ووقعت اتفاقية إستنبول سنة 1316هـ/ 1898م التي أعادت **تساليا** إلى الدولة العثمانية، ومنحت كريت حكما ذاتيا.

---

(2)الأرمن: هي إحدى الأقليات المسيحية الموجودة في الدولة العثمانية، قامت بإضرام نارها ضد الدولة العثمانية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للعشرين للميلاد، عاش الأرمن في كنف هذه الدولة في رفاهية وأمن ومساواة، حيث شملتهم سماحة الحكم العثماني المستمدة من الشريعة الإسلامية، كان الكثير منهم يعمل في أجهزة الدولة، فكان منهم الوزراء والنواب والأعيان، إلا أن الوضع تبدل بعد قيام هذه الفتنة، وهي الآن دولة مستقلة بذاتها موجودة في أوروبا تسمى أرمينيا. — يلماز أوزتونا، مرجع سابق، ص 129.

(2)الإتحاد والترقي: في عام 1889 شكل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية السلطانية في إستانبول منظمة سرية تعرف باسم الإتحاد والترقي هدفها عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وإعادة الحياة الدستورية في الدولة، وكان وراء هذا التشكيل السري رجل ماسوني من ألبانيا اسمه إبراهيم تيمو، وباشرت أعمالها عام 1891 في جنيف أولا ثمّ نقلاها إلى باريس _ حسن علي حلاق، المرجع السابق، ص 43.

(3)آفكوندز وأوزتورك، المرجع السابق، ص430.

الأوضاع الخارجية:

التسويات والمؤتمرات الدولية ضد الدولة العثمانية:

كانت روسيا تطمح للسيطرة على بلغاريا لكنها كانت تخشى معارضة الدول الأوروبية لها، فقامت بتقديم طلبات إلى الدولة العثمانية من شأنها تحسين أحوال النصارى إلا أن الدولة العثمانية رفضت، ولم يسع روسيا بعد ذلك إلا إعلان الحرب، وقبل ذلك أمضت معاهدة سرية مع إمارة رومانيا (الأفلاق والبغدان) في **16** آفريل **1877**م، ووضعت رومانيا بمقتضاها جميع مخازنها ومؤنها تحت تصرف روسيا.[1]وقامت الجيوش الروسية باحتلال رومانيا واخترقت نهر الدانوي وانتصرت على العثمانيين واضطرّ القائد العثماني عثمان باشا إلى الاستسلام، وعقدت بين روسيا والدولة العثمانية معاهدة سان إستيفانو(**1295**هـ **1878**م).[2]

معاهدة سان إستيفانو03مارس 1878م:

وقعها في الجانب التركي كل من وزير الخارجية صفوت باشا وسفير برلين سعد الله بك (باشا) وهما يذرفان الدموع على هذه المعاهدة وعن الجانب الروسي الجنرال كونتnelidofو lgnqtief وتكونت المعاهدة من **29** مادة أهمها:

- تشكيل إمارة بلغاريا بمساحة غير طبيعية امتدت حتى بحر إيجة.
- تقسيم أراضي الرومللي العثمانية إلى ثلاثة أقسام.
- وتعطي بلغاريا، مقدونيا، تراقيا الغربية وقير قلارايلي إلى هذه الإمارة المستقلة ذاتيا والتي تقرر أن تكون ألعوبة بيد الروس.

تلقت الدول العظمى معاهدة أياستافانوس التي تؤمن التفوق للروس في البلقان على حساب الدولة العثمانية والنمسا والتي توصل روسيا إلى إيجة بواسطة بلغاريا المستقلة ذاتيا، وبطريقة غير مباشرة

---

(1)محمد فريد باي المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حفي، ط 9، دار النفائس، بيروت، 2003، ص640.

(2)آياستا فانوس باليونانية ، بالتركية يتيل كوي ، ومعناها القديسين، إسطفان وهي قرية أو ضاحية من ضواحي إستانبول على الضفة الأوروبية، وتقع على بحر مرمرة. – فريد باي المحامي، مصدر سابق، ص 642.

إلى البحر الأبيض والبحار الدافئة والبحار المفتوحة. بدأت مرحلة الدبلوماسية الشخصية لعبد الحميد الثاني التي تستمر **30**سنة، والتي تحافظ على الإمبراطورية هذه المدة، بمحاولاته لهدم معاهدة سان إستيفانو .وفقدت الدولة العثمانية بهذه المعاهدة أكبر المناطق (الأفلاق، البغدان، البلغار، الصرب، قارص، باطوم...)[1].

مؤتمر برلين:1878م

اشترك في مؤتمر برلين عدا روسيا وتركيا كل من ألمانيا، إنجلترا، فرنسا، النمسا، المجر، وإيطاليا، وكان الأمير **فون بسمارك** (رئيس وزراء إتحاد الإمبراطورية الألمانية) رئيسا، واتفق المؤتمرون على تعديل معاهدة **سان إستفانو** والتي تناولت الشروط التالية:

- إستقلال بلغاريا وتعديل حدودها.
- تقدمت حدود اليونان قليلا إلى الشمال مع العلم أنّ اليونان لم تدخل في موضوع القتال، ولم تشمل معاهدة سان ستيفانو أيّ جزء منها.
- ضمّ البوسنة والهرسك للنمسا، ويسارابيا إلى روسيا بعد اقتلاعها من رومانيا، ومنحها الإستقلال التام.
- استقلال الصرب والجبل الأسود، وضم مدن قارص وردهان وياضوح إلى روسيا.
- الموافقة على تحسين أوضاع النصارى في جزيرة كريت. [2]

إلاّ أنّ كواليس هذا المؤتمر والتي عرض فيها بسمارك تقسيم الإمبراطورية العثمانية، حيث على بريطانيا مصر، على فرنسا تونس والشام، على النمسا البوسنة والهرسك، وعلى روسيا اليوغارين (البوسفور والدردنيل) وغير ذلك من إعلان السلطة. هكذا حصلت كلّ دولة أوروبية على ما تريد من الدولة العثمانية في تلك المرحلة، ووقعت الدولة العثمانية على معاهدة برلين، فتأخّر بذلك سقوطها ثلاثين أو أربعين سنة أخرى، إلا أن هذه المعاهدة أزاحت الدولة من القارة الأوروبية .

([1]) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 120 وما بعدها.

([2]) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 193.

المبحث الأول: الحركة الصهيونية، أطماعها وأساليب تغلغلها

قبل التطرق للأساليب التي اتبعها الصهاينة للتغلغل داخل أوساط أركان الدولة العثمانية، رغبة منهم في تحقيق أهدافهم المتمثلة في تشكيل وطن قومي لليهود في مناطق المشرق العربي، لا بد لنا أولا من عرض ماهية اليهود، أصولهم وما تفرع عنهم من فئات وحركات سياسية، وكذا علاقتهم بالدولة العثمانية، أي كيف عاملت الدولة العثمانية أهل الذمة من اليهود والنصارى؟.

نشأة اليهود :

تقول بعض المصادر: أن تعبير تاريخ اليهود تعبير مجازي ،ذلك أن اليهود حسب هذا القول لا يعدون وحدة متماسكة، فمفهوم التاريخ اليهودي غير وارد، وذلك لأنه يتطلب وجود تشكيل حضاري، مستقبل واحد وعرف واحد...، لكن الجماعات اليهودية انتشرت في جميع أرجاء العالم، وكانت تتواجد في أرجاء مختلفة، تختلف باختلاف الزمان والمكان الذي يعيشون فيه، لذا فإنه من الصعب قبول مقولة التاريخ اليهودي ،لأنه من الصعب الحديث عن الهوية اليهودية، فهي جزء لا يتجزأ عن التشكيلات الحضارية التي كانوا يعيشون في كنفها، ولهذا فإنه من الأفضل استخدام لفظ "الجماعات اليهودية" بدلا من "التاريخ اليهودي" [1].

بدأ تاريخ اليهود منذ هجرة إبراهيم عليه السلام مع قومه إلى فلسطين وذلك في القرن **18** ق م تلك الهجرة التي تعد الأولى للقبائل اليهودية إلى فلسطين. وفي منتصف القرن **17** ق م كان اليهود يسكنون في مصر بعد هجرتهم من فلسطين مع يعقوب عليه السلام، وذلك نتيجة القحط الذي واجهوه هناك، ثمّ خرج بهم موسى من مصر بعد اضطهادهم من فرعون مصر " رمسيس الثاني ". أما الهجرة الثانية للقبائل اليهودية إلى فلسطين فكانت في القرن **14** ق م[2].

---

(1)عبد الوهاب المسيري، "يهود أم جماعات يهودية"، مقال في جريدة الشرق الأوسط، 29 جوان 1994.

(2) في الأصل كان الكنعانيون أبناء كنعان بن حام بن نوح، وهم سكان فلسطين، وكان على العبرانيين أن يحاربوهم حتى يدخلوا فلسطين، لكنهم لم يستطيعوا التغلب عليهم، فاقتصر وجودهم على التلال والأراضي الفقيرة. – جمال حمدان، **اليهود أنتربولوجيا**، ط 1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص 81.

وفي عهد سليمان عليه السلام انشطرت الدولة إلى مملكتين " **يهوذا** " في الجنوب وتظم قبيلتي يهوذا وبنيامين، ومملكة " **إسرائيل** " في الشمال وتظم باقي القبائل، ومن هذا الوقت أصبح يطلق عليهم اسم اليهود نسبة إلى مملكة يهوذا[1]، والتي مقرها **أورشليم** أما إسرائيل فكان مقرها **السامرة**[2]، وبنو إسرائيل هم أبناء سيدنا يعقوب الإثني عشر المعروفون "**بالأسباط**".

أما في أوروبا فلم يكن لليهود مثلما كان لهم في الشرق، فقد قام الأوروبيون لفرض محظورات عليهم وهي: أن لا يتزوجوا من مسيحيات، وأن لا يكون لهم عبيد مسيحيون، كما فرضوا عليهم ضرائب باهظة، وقد لقبهم قسطنطين الكبير[3] (الإمبراطور الروماني) من **288-337**م "**بالشعب المكروه**"، كما طردوا من بريطانيا في ق **6**م ومنعوا من دخولها لمدة ثلاثة قرون، ومن فرنسا طردوا أيضا وأحرق تلموذهم، وفي ألمانيا تعرضوا لذبائح عل يد النازيين[4].

أما أقسى اضطهاد لاقاه اليهود فهو الاضطهاد الأكبر في بلاد الأندلس، حينما نزح فريق منهم إلى إسبانيا وعاشوا تحت حكم القوط والرومان، وقد ضيق عليهم في عبادتهم وصودرت معابدهم وذلك بسبب هزئهم بالكاثوليكية وسخريتهم منها.ونتيجة لهذه المعاملة التي عانى منها اليهود على يد ملوك إسبانيا الذين اعتنقوا المسيحية، رحب اليهود بالعرب الذين دخلوا إسبانيا فاتحين عام **93**هـ/ **711**م، وبعد الفتح الإسلامي لإسبانيا تمتع اليهود بسماحة الإسلام وشهدت هذه المنطقة خاصة الأندلس نزوحا كبيرا لليهود من مختلف بقاع العالم، وشاركوا في النهضة العلمية، وراجت كذلك

(1)أما علماء المسلمين ومنهم الشهرستاني فلهم وجهة نظر مختلفة إذ يرون أنه لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام – إنا هدنا إليك – أي رجعنا وتضرعنا، وكان رجوعهم وتوبتهم كما هو معروف بعد فتنتهم، وعبادتهم لعجل السامري – أحمد سالم رحال، **فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلموذ**، ط 1، دار البداية، عمان، 2008م ص 10 وما بعدها.

(2) عجاج نويهض، **بروتوكولات حكماء صهيون**، ط 4، دار الإستقلال للدراسات والنشر، بيروت، 1996م، ص ص 3 4.

(3)قسطنطين الكبير هو ابن قسطنطين الأول من أباطرة الرومان البيزنطيين نودي به إمبراطور عند وفاة أبيه، كان يميل إلى المسيحية، وقد عمّد وهو على فراش الموت، هو الذي أوجد فكرة المجامع الدينية، وقد أقام الإمبراطور على أساس الحكم المطلق، ونقل عاصمته إلى بيزنطا وأعاد بناءها وأسماها القسطنطينية وأمر بإنشاء كنيسة آيا صوفيا 326م، وهي أول كنيسة تقام في القسطنطينية وأمر باتخاذ إشارة الصليب شعارا للكنيسة.- شاهين ماكاريوس، **أربع كتب في الماسونية – تاريخ الإسرائيليين**، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999، ص ص 310 311.

(4) رفيق شاكر النتشة، مرجع سابق، ص 20.

تجارتهم[1],وانتهى عصر إسبانيا الإسلامي، وجاء الحكم المسيحي إلى البلاد مرة أخرى، وعام **1492**م وفي عهد الملك**فرناند** تمّ طرد **300** ألف يهودي من إسبانيا فغادروا جميعهم إلى البلدان الإسلامية وشمال أوروبا، واتجهوا مهاجرين إلى البرتغال، المغرب، إيطاليا، فرنسا والدولة العثمانية.

وفيما يخص الدولة العثمانية فقد كان المجتمع اليهودي يتكون من **ثلاثة مجموعات**:

- اليهود الذين عاشوا في الدولة البيزنطية ثمّ خضعوا للدولة العثمانية بعد سقوطها؛
- المهاجرين من النمسا، المجر، روسيا، ألمانيا وبولندا؛
- المهاجرين من إسبانيا، البرتغال وإيطاليا نتيجة الاضطهاد، وقد وجد هؤلاء الأمن والسلام في كنف الدولة العثمانية[2].

الديانة اليهودية:

هم في الأصل أتباع سيدنا موسى علية السلام، حادو عن الحق واتبعوا الشهوات، وعبدوا آلهة من دون الله كعشيرة، عشروت، ليليت، البعلم والسابات ،عنادا وهوى من أنفسهم، وقد أشار الله تعالى إليهم في كتابه العزيز بالمغضوب عليهم، ولهذا فقد اقترنت كلمة **يهود** بلعنة الله وغضبه، والذمّ واللوم على كفرهم وعصيانهم، بعكس لفظ **بني إسرائيل** التي وردت في القرآن الكريم في معرض ذكر أنعم الله وأفضاله أيضا[3].

واليهود من أكثر أمم الأرض ضلالا وانحرافا عن الحق ولهذا يعزى سبب كثرة أنبياءهم لقوله تعالى:" لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون".[4]

---

(1) أحمد نوري النعيمي، **اليهود والدولة العثمانية**، ط 1، مؤسسة الرسالة، الأردن، 1997م، ص 22.

(2) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص 27.

(3) أحمد سالم رحال، مرجع سابق، ص 21.

(4) سورة المائدة، الآية 70.

واليهودية في حقيقتها ديانة انعزالية غير توحيدية مغلقة شديدة التقوقع، وغير دعوية، تفرض على معتنقيها الانعزال في أماكن خاصة بحجة المحافظة على الجنين اليهودي المزعوم ونقائه، ولكي يتم الاعتراف بيهودي أو يهودية فيجب عليه أن يكون من أب يهودي وأم يهودية.

وقد بالغ اليهود في وصف تميزهم ونقاء جنسهم، وهي نظرة مستمدة من تعاليم كتبهم "ما يعرف بالتلمود"[(1)]،فهو كتاب جامع لكل القبائح لأن فيه خروجا عن الشرائع السماوية والقوانين الإنسانية، ولا شك بأنّ تحريف التوراة هو حقيقة ثابتة لا لبس فيها. **قال تعالى**: " أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون[(2)]. و**قوله تعالى**: " قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون "[(3)].**وقال سبحانه**: " وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون "[(4)].

الفئات اليهودية في العالم: ينقسم اليهود إلى ثلاث مجموعات مختلفة:

الإشكنازيون: ويشملون أغلب يهود وسط أوروبا وشرقها[(5)]، وتنسب هذه الطائفة إلى اليهود الألمان أو الذين ينحدرون من أصل ألماني، عاشوا في القرون الوسطى في البلدان التي كانت تتكلم الألمانية، ثمّ امتدوا إلى الشرق والغرب، وقد حافظوا حتى عهد قريب على لغتهم " **اليديشviadish**" وكانت في أساسها اللغة الألمانية المستعملة في القرون الوسطى، ومصدر تسمية إشكنازيين هو كلمة "

---

(1) التلمود: يعد كتاب التلمود عند اليهود جزءا من أحكام الديانة اليهودية، والتلمود معناه التعاليم أو الشرح والتفصيل، وهو مجموعة الذرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا عن أصولها، وأصل كلمة تلمود بالعبرية "لاماد " أي يعلم، ويعتبره اليهود أكبر كتابا منزلا ويضعونه في منزلة التوراة، وفي التلمود تأكيد لمبدأ الإستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض على اعتبار أنهم شعب الله المختار والباقي عبيد لهم لأن الله اصطفاهم دون سراهم من شعوب الأرض. أحمد سوسة، **أبحاث في اليهودية والصهيونية**، ب ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 7 وما بعدها.

(2)سورة البقرة الآية 75.

(3)سورة الأنعام الآية 91.

(4)سورة آل عمران، الآية 78.

(5)كلمة إشكناز: تشير وفقا لقاموس إيفن شوشان إلى شعب قديم ورد ذكره في التوراة، وارتبط في الكتابات العبرية بألمانيا الحالية. أحمد فؤاد أنور، **تاريخ اليهود من تشويه الأنبياء إلى 11 ديسمبر**، د ط، مركز الراية للنشر والإعلام، 1996، ص 7.

شكناز " ومعناها اليهودية الحديثة. والظاهر أن لفظة الإشكنازيين بعد أن كانت تطلق في أوائل القرون الوسطى على اليهود الألمان، إلاّ أنها أصبحت في العصور التي تلت ذات مفهوم أوسع، حيث لم تعد مقتصرة على ألمانيا وحدها بل شملت أكثر يهود أوروبا كيهود الجزر البريطانية، شمال فرنسا، كل ألماني وقسم كبير من النمسا التي كانت تقطنها في ذلك الوقت قبائل "**السلاف**"، وفي الحقيقة أصبحت الكلمة تدل على حضارة وليس على بقعة جغرافية[1].

طائفة السفارديم: هم اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية خصوصا بعد فتح المسلمين لها سنة **711**م، وكانوا يتكلمون في إسبانيا في بادئ الأمر اللغة العبرية حتى القرن **13**م، ثمّ أخذوا يتكلمون اللغة الإسبانية التي تمسكوا بها واعتبروها لغتهم الأصلية، وفي آخر عهدهم – قبل أن يطردوا من إسبانيا سنة **1492**م – كانوا يتظاهرون بالمسيحية ويقومون بالطقوس والعبادات الدينية اليهودية سرا، ثمّ عادوا إلى اليهودية بعد خروجهم من إسبانيا، وقد هاجر هؤلاء إلى جنوب أوروبا، شمال إفريقيا وبلدان الشرق الأوسط، وذهب بعضهم إلى لندن وأمستردام وهامبورغ، ثم هاجرو إلى أماكن أخرى من العالم، وتعرف لغة السفارديم التي لا يزالون يتكلمون بها " **بالادينو** " الإسبانية**lodino**، وهي اللغة الشائعة عند اليهود الفلسطينيين، ويتميز السفارديم عن الإشكنازيين بالإختلاف في الثقافة، حيث أنّ السفارديم كانوا على مستوى أعلى من الثقافة مستفيدين من حضارة العرب في إسبانيا، بينما عاش الإشكنازيون منعزلين منطوين على أنفسهم متمسكين باليهودية وتعاليمها.[2]

اليهود الشرقيون: هم الذين غادروا فلسطين إثر السبي والطرد وقد انتشروا في العراق، إيران وأفغانستان، وفي دلتا مصر الغربية ومنها إلى سائر شمال إفريقيا، وصار البعض منهم يتكلم بلغة أهل البلاد التي نزحوا إليها، والبعض الآخر بقي محافظا على لغته الآرامية الحديثة، وهي اللغة التي كانوا يتكلمونها قبل مغادرتهم فلسطين كاليهود الذين عاشوا في كردستان مثلا، ومما يذكر في هذا الصدد أن الحكومة العثمانية لم تعترف بالجاليات اليهودية الإشكنازية الغربية وقد ظلّ الحاخام الأكبر ينتخبه السفارديم الشرقيون حتى عهد الإنتداب[3]

---

(1)أحمد سوسة، **أبحاث في اليهودية والصهيونية**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 91 وما بعدها.

(2) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص 91.

(3)المرجع نفسه، ص 92.

الحركات الفكرية السياسية اليهودية:

يهود الدونمة:

الأصل والنشأة: الدونمة كلمة تركية مركبة من جزأين **"دو"** بمعنى إثنان (فارسية الأصل)، **"نمة"**بمعنى نوع، ومعنى الكلمة الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي والنوع الإسلامي، وبهذا أطلق الأتراك على اليهود المتظاهرين بالإسلام عبارة **دونمة** وهي مصدر مشتق من فعل **دونمك**، أي عاد ورجع ،أما المصدر منه فيعني **"المرتدون عن دينهم"**[1].

ظهورهم في الدولة العثمانية: كانت البدايات الأولى للتواجد اليهودي في البلاد العثمانية في عهد السلطان **سليمان القانوني**، الذي تزوج من جارية يهودية روسية الأصل، على قدر كبير من الجمال تدعى " **روكسلانة** " إسمها الحقيقي "**خرم**" ومعناها "الباسمة" فأنجبت له ولدين: سليم الثاني وبايزيد، ونجحت في إفساح المجال لولديها بولاية العهد على إثر قتل مصطفى الإبن الأكبر للسلطان من أمه الشركسية،إذن كيف كان دور روكسلانة في دخول اليهود إلى الدولة العثمانية؟.وللإجابة لا بد من ذكر محاولات روكسلانة في إقناع زوجها السلطان بالسماح لليهود الفارين من إسبانيا على إثر إعلان محاكم التفتيش هناك _لمعاقبة اليهود_، وقد استطاعت بما لديها من نفوذ لدى زوجها السلطان إدخال اليهود إلى الدولة العثمانية، فعاثوا فيها فسادا خاصة بعد ظهور فئة جديدة تسمى يهود الدونمة[2]، الذين تمتعوا بالإستقلال والمكانة في حاشية السلطان.

(1)إلهام محمود كاضم،" دور يهود الدونمة في إسقاط الدولة العثمانية"، **مجلة كلية التربية الأساسية**، العدد7، أيار 2012م، ص 157

(2) نفسه، ص 43.

المؤسس الحقيقي ليهود الدونمة:

يعد **سباتاي زيفي**[1] المؤسس الحقيقي ليهود الدونمة ،الذي استغل بعض النصوص الدينية العبرانية التي تدعوا إلى ظهور مسيح جديد في عام 1648م يحكم العالم أخر الزمان ،متخذا من نفسه المسيح المنتظر، فصدقه عدد كبير من اليهود، وانهالت عليه الوفود من ألمانيا، صوفيا وأدرنة، وأطلق عليه ملك الملوك، لكن عندما شاع الخبر في أنحاء أزمير تغير الأمر حيث وجد معارضة شديدة من حاخامات اليهود الكبار، وحكم عليه بالإعدام[2]، وبعدها قرّر الفرار إلى سلاتيك، لكنه عاود المجيء إلى أزمير عندما أصبح مشهورا وأصبحت مقابلته بمواعيد ومراسيم[3]، هنا أصبح خطر سباتاي كبيرا، ولهذا قام قاضي أزمير بإبلاغ الصدر الأعظم بأمره فصدرت الأوامر بالقبض عليه وإحضاره إلى إستانبول[4].

وعندما مثل سباتاي أمام الجهة المسؤولة أنكر كل التهم، ألا أنّ كثرة التهم الموجهة أليه أدت إلى سجنه، وفي هذه الفترة ظهر منافس جديد لسباتاي إسمه **ناجم كوهين،** ادعى أيضا بأنه المسيح المنتظر، وحدث نزاع كبير بينهما، هنا قام ناجم كوهين بتقديم شكوى للسلطان محمد الرابع 1648_ 1687م) بأنّ سباتاي يخطط لإنشاء دولة يهودية داخل الدولة العثمانية، هنا قدم سباتاي للمحاكمة[5]، وأنكر ادعاءه بأنه المسيح ،كما أظهر رغبته في اعتناق الإسلام، وطلب من السلطان السماح له بدعوة اليهود إلى اعتناق الإسلام، وانطلق سباتاي للعمل بكل حرية مواصلا دعوته بأنه المسيح وإظهاره للإسلام وإبطانه للعقيدة اليهودية، فاستجاب اليهود لكل توجيهاته

(1)هو شخصية يهودية من أصل إسباني ابن السمسار اليهودي موردفان زيفي المعروف بين الأتراك باسم " قرة منتشيه "، ولد بمدينة أزمير غرب الأناضول عام 1626م من أم يهودية، هاجروا من إسبانيا إلى تركيا مستغلين سياسة التسامح الديني التي أعلنتها الدولة العثمانية، وأصبح حاخام مدينة أزمير إثر تعلمه التوراة على يد أستاذه إسحاق دليع، أعلن نفسه مسيحيا، واتهم بأنه مختل عقليا، ثمّ سجن وكاد يعدم لولا أنه أعلن إسلامه، ونطق بالشهادتين وغير إسمه. إلى محمد عزيز أفندي، ثمّ عين رئيسا للبوابين في القصر السلطاني، وقد كان إسلامه ظاهريا فقط. – المرجع نفسه، ص 44 وما بعدها.

(2)مصطفى طوران، **يهود الدونمة**، تعريب: كمال خوجة، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، 1991، ص 15 وما بعدها.

(3)أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص 28.

(4) إبراهيم بك حليم، مصدر سابق ص 144.

(5) موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص 244.

بإظهارهم الإسلام واستبدال أسماءهم بأسماء إسلامية، فصاروا يترددون على المساجد، ويتظاهرون بالحج والصيام والاحتفال بأعياد المسلمين وقراءة القرآن، وفي أوكارهم يمارسون طقوسهم الدينية، ويحتفلون بأعيادهم بأسمائهم العبرية اليهودية، وبعد فترة قدِّمت شكوى للسلطان العثماني مفادها أنّ سباتاي مازال يقيم طقوسه الدينية اليهودية، وتم ضبطه مع مجموعة من أتباعه في معبد يهودي فحكم عليه بالنفي إلى ألبانيا عام 1673م، ومع ذلك بقي على اتصال باليهود عن طريق الرسائل إلى أن مات عام 1675م[1].

ومنذ هذه الفترة ظهرت الطائفة الدونمية التي راحت تتغلغل في شعاب البنية السياسية، الاجتماعية، الإقتصادية، الثقافية والعسكرية للدولة العثمانية، حتى تمكنوا من إحكام قبضتهم عليها بعد زمن طويل من العمل الجاد، فكانوا بعد ذلك على أهبة الاستعداد لتقديم كل العون لكافة القوى الداخلية والخارجية المعادية للدولة العثمانية[2]، خاصة في الفترة المواكبة لمولد الحركة الصهيونية.

الصهيونية:

هي حركة عنصرية ذات طابع إستعماري تهدف إلى اقتلاع جذور العالم من مجتمعاتهم الأصلية عبر هجرة متواصلة ،لخلق دولة قومية يهودية في أرض ليست لهم.

إن فكرة الوطن القومي اليهودي قديمة ترجع إلى العصور الوسطى ،لكنها لم تكن في تلك العصور التي كانت بالنسبة لليهود عصرها الحديدي، أو عهد الإضطهاد الشنيع أكثر من مثل أعلى أو أمنية مقدسة غامضة، لكنها منذ ق **18**م غدت نظرية سياسية واجتماعية ترمي إلى غايات، وكان أقطاب اليهود في ذلك العصر وعلى رأسهم **مندلزون ولسنج**[3] يرون أن تتخذ القومية اليهودية صيغة محلية ،فيغدوا اليهود أبناء البلد الذي استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحي، إلا أن هذه القومية المعتدلة لم تلق تأييدا كبيرا، ولم يطل أمرها، ومنذ أوائل القرن **19**م نجد يهود إنجلترا يعملون على تقويتها وتلمس السبيل إلى تنفيذها ،بالدعوة إلى إحياء التراث اليهودي وإنشاء المستعمرات اليهودية

(1)طوران،مرجع سابق، ص 248.

(2)عبد الله التل، **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**، ط 2، المكتب الإسلامي بيروت، 1996، ص 75 وما بعدها.

(3) "موسليمندلزون"(1729 – 1786) فيلسوف وكاتب يهودي ألماني كبير و"لسنج" (1729 – 1781) كاتب مسرحي وناقد يهودي ألماني. محمد عبد الله عنان، "الصهيونية نشأتها وتطورها"، **مجلة الرسالة**، العدد 22، 1933، ص 21 وما بعدها.

في فلسطين، ومن ذلك الحين تتجه اليهودي ببصرها إلى فلسطين ،وقد نشأ الفكر الصهيوني بين يهود روسيا وبولونيا وباقي دول أوروبا الشرقية خلال النصف الثاني من القرن **19**م، حيث كانت تعيش هناك أكثر يهود العالم[1].

والصهيونية مشتقة من لفظة "**صهيون"**، وصهيون إسم **رابية في أورشليم،** كان قد أقام عليها **اليبوسيون** أبناء عمومة الكنعانيين العرب حصنا قبل ظهور بني إسرائيل (قوم موسى) بحوالي **2000** عام، ولهذا تكون اللفظة كنعانية (عربية) وليست عبرية (يهودية)[2]، وقد أطلقت تسمية الصهيونية على منظمة إرهابية أسسها يهود روسيا في نهاية القرن 19، فسمي أعضاؤها **"عشاق صهيون"** و**"أحياء صهيون**".

وبدأت نشاطها المنظم بدعوى معاداة الشعوب للسامية، وينشر أسطورة مفادها أنّ فكرة إنشاء الوطن اليهودي قديمة، فمنذ هدم هيكل سليمان قبل ما يقرب من ألفي عام واليهود يتطلعون إلى تحقيق حلم العودة إلى فلسطين أرض الميعاد.[3]

إلاّ أن الصهيونية في بدايتها كانت حركة قلة معدودة رفضها معظم أجزاء اليهود أولا وقبل كل شيء رفها الدينيون، الإشتراكيون اليهود وكذا الحالمون بحلم الحكم الذاتي الثقافي، إنّ اليهود بجموعهم لم يكونوا راغبين في الصهيونية، ولم يؤمنوا بها، وهذه الحقيقة الحاسمة يجب أن لا تنسى.[4]

والصهيونية بمفهومها الحديث هي: حركة سياسية استعمارية قامت على مزج الدين بالقومية محولة اليهودية من مجرّد ديانة سماوية إلى رابطة سياسية، وهي تهدف إلى جمع يهود العالم فوق أرض فلسطين بدعوى أنّ لهم فيها حقوقا سياسية وتاريخية.

---

(1) صبري جريس، **تاريخ الصهيونية،** ط 1، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1977، ص 13 وما بعدها.

(2)هناك من يقول أن الصهيونية اشتقت من" سيون" بالعبرية، أو صهيون التي تعني المعقل.

– عبد الله عنان، مرجع سابق/ ص 22.

(3) أحمد سوسة، **أبحاث في اليهودية والصهيونية،** د ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص ص 145 146.

(4) فون ناجوتجالوب، **السلام في الأرض المقدسة – تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين،** ترجمه وقدمه وأعاد تأليفه باسم: اليهود واليهودية في العصور الوسطى والقديمة (بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات) د/ رشاد عبد الله الشامي، ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص 42.

وهكذا يتضح لنا أنّ الصهيونية الحديثة ما هي إلا حركة سياسية يهودية قامت على استغلال مفاهيم اليهود الدينية المستقاة من مصادرهم الوضعية وما فيها من توجيهات إستعمارية صهيونية ونزعات استعلائية لتحقيق هدفها في الإستلاء على فلسطين، وتجسدت هذه الحركة تحت لواء تيودور هرتزل، وقد ساندته الجمعيات اليهودية وأطلق عليه لقب "موسى الجديد"، ودعته إلى قيادة الحركة السياسية، ولهذا نرى أنّ هرتزل قد شكّل حجر الأساس في انطلاقة الحركة الصهيونية[1].

1)أساليب التغلغل الإقتصادي الصهيوني داخل الدولة العثمانية:

لقد تغلغلت هذه العداوة في نفوس اليهود لما وجد الإسلام قبولا ،حيث أيقن اليهود أنّ هذا الدين سيكتسح عقائدهم الزائفة الباطلة، هذا موقف اليهود من الإسلام وهو في مهده، في حين نجد رسولنا الكريم **محمد صلّى الله عليه وسلم** يضع في أولويات الأسس التي اعتمدها لبناء الدولة الإسلامية كتابة وثيقة بين المهاجرين والأنصار ،عاهدوا فيها اليهود على أموالهم ودينهم، إلا أن اليهود قاموا بإثارة الشبهات ليضعفوا الإيمان في نفوس المسلمين[2]، وهنا نزل **قوله تعالى**: "ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم"[3].

ولما كانت صفحات التاريخ الإسلامي مليئة بوقائع مؤلمة، وحوادث منكرة تدين اليهود، مقدمة براهين دامعة على عدوانهم على الإسلام، وغدرهم بالمسلمين، لذلك لم تكن الدولة العثمانية ـــوهي صفحة ناصعة في التاريخ الإسلاميــ بمنأى عن ذلك العدوان، سيما وأنّ اليهود قد رأوا فيها العقبة التي حلت بينهم وبين تحقيق أطماعهم، لذا فقد وجهوا سهامهم نحوها، وتسللوا إلى عقر دارها، وراحوا يحيكون لها في الظلام كعادتهم المؤامرات ويثيرون الفتن للإطاحة بها، رغم التسامح الذي وجدوه فيها، وحرية التنقل والعمل التجاري والصناعي[4].

---

(1) فدوى نصيرات، مرجع سابق، ص 43.

(2) أحمد عبد الله الزغبي، **العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها**، ج 2، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ص 35 وما بعدها.

(3)سورة البقرة، الآية 109.

(4) أحمد نوري النعمتي، مرجع سابق، ص 22 وما بعدها.

أ) دور يهود الدونمة في إضعاف الإقتصاد العثماني:

كان ليهود الدونمة أساليب خفية وعلنية، سياسية وأخرى إقتصادية للتغلغل في أوساط الدولة العثمانية. فما هي الأساليب الإقتصادية التي لجأت إليها الصهيونية للإطاحة بالدولة العثمانية؟.

الجدير بالذكر أنّ البنية الإقتصادية العثمانية في هذه الفترة (الحديثة) قديمة لم تتح لرجال الأعمال فرصة المساهمة في الحركة الإقتصادية، ويعتقد البعض أن أكثر المستفيدين من حالة الإزدهار الإقتصادي كانوا من غير المسلمين، الذين كانوا يسيطرون على رؤوس الأموال وعلى حركتي التجارة الداخلية والخارجية خاصة فئة اليهود، وكما هو معروف أنّ غير المسلمين كانوا ينعمون بامتيازات لم تكن متوفرة لغيرهم ،لأنهم كانوا من رعايا الدول الأجنبية، هذا ما أدى إلى تزايد حدّة التوتر بين المسلمين واليهود والمسيحيين، كما أدى أيضا إلى تزايد تدخل القوى الأوروبية في شؤون الدولة، وهذا خلف حالة من عدم الاستقرار الإقتصادي، القومي والطائفي طيلة نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م[1].

لقد سعى اليهود إلى السيطرة ماديا لتسهيل المهمة الأساسية في تدمير الدولة العثمانية، حيث استطاع اليهود أن يمتلكوا المال والذهب، وأن يسيطروا على المصارف وغيرها من المؤسسات المالية التي تتحكم في اقتصاد الدولة العثمانية، وبذلك سيطروا على كبار الشخصيات العالمية التي تستطيع أن تلعب دورا في زجّ بلادها _الدولة العثمانية _في حروب تكون نتائجها لصالح اليهود وحدهم، وقد تعددت وسائل اليهود لإغراء الشخصيات العالميةمن أجل الوقوف إلى جانبهم، ومن بين هذه الوسائل إغرائهم بالأموال ،وكذا عرض المناصب ذات الجاه والمناصب العلمية، أما المال فهو السلاح الذي أذل ومازال يذل كبار الشخصيات في العالم ،الذين استطاع اليهود أن يشتروا ضمائرهم، وأن يسخروها في خدمة اليهودية العالمية[2].

وقد كان ليهود الدونمة الذين كانوا يعملون لصالح الصهيونية تأثير كبير على الحياة الإقتصادية في الدولة العثمانية، وذلك من خلال النقود الإسبانية والنمساوية التي جلبها اليهود بتجارتهم إلى تركيا،

---

(1) صموئيل أتنجر، "اليهود في البلدان الإسلامية 1850 – 1950م"، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، مراجعة رشاد عبد الله الشامي، **مجلة عالم المعرفة**، العدد 197، الكويت، ماي 1995، ص 175.

(2) أحمد نوري النعمتي، مرجع سابق، ص ص 9 10.

فكان الأتراك يفضلون هذه العملات عن غيرها ، وكانت تستخدم في شراء سلع باهظة الثمن، وكانت الشركات اليهودية الأوروبية والأمريكية ترسل من الخارج معونات مالية أحدثت انتعاشا في الحركة الإقتصادية في تركيا، وقد أثبتت الدراسات من خلال شواهد لمقابر يهود الدونمة أنّ التجار من يهود الدونمة أخذوا يتزاوجون من العائلات التركية المسلمة المعروفة في عالم التجارة (للعلم فإن هذا التزاوج بين المسلين والدونمة كان ممنوعا في العقيدة الدونمية)[1].

وكذلك ارتبطت خيوط هؤلاء اليهود (الدونمة) المتسترين بالإسلام في الدولة العثمانية بشبكة الصهيونية العالمية التي توجهها القوى الإستعمارية الأوروبية، حيث التقت أهداف القوى الثلاث على أمر واحد وهو القضاء على الدولة العثمانية[2]، فبعد زمن من العمل الجاد في مجال الإقتصاد والمال تمكنوا من إحكام قبضتهم عليها، فكانوا بعد ذلك على أهبة الاستعداد لتقديم كل العون لكافة القوى الداخلية والخارجية المعادية للدولة العثمانية[3].

وقد أثبتت الوثائق التاريخية أنّ يهود الدونمة كانوا عند حسن ضنّ تلك القوى، حيث تمكنت من إحداث أزمات سياسية واقتصادية[4]. وبهذا تمكنت من الوصول إلى مواقع صنع القرار في الدولة حيث كانت تعمل لخدمة الدول الإستعمارية المتربصة بالدولة العثمانية، ولعل خير مثال على ذلك الدونمة مدحت باشا الذي وصل إلى منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1874 – 1909م)، فجند نفسه لخدمة الدول الإستعمارية، وفي هذا الصدد يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: " لم يهزّ مني شيء في حياتي هزا قدر شخص يرتفع إلى مقام قيادة الجيش أو إلى مقام الصدارة العظمى ويقبل نقودا من دولة أجنبية...."[5].

---

(1) هدى درويش،**العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1284م إلى نهاية القرن العشرين**. ج1،ط1.دار القلم.دمشق.2002.ص 100.

(2) موفق بني المرجة مرجع سابق، ص 242 وما بعدها.

(3) عبد الله التل، مرجع سابق، ص 75.

(4) حسن حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية**، ط 2، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص ص 285 286.

(5)مذكرات السلطان عبد الحميد، مصدر سابق، 102 وما بعدها.

ب) الشركات الصهيونية:

في هذه الفترة قويت الروابط بين اليهود وأتراك مقدونيا، وظهرت الشركات الصهيونية في مناطق ماستر وأسكوب، قونيا وأظنة وغيرها، وأصبح اليهود مسيطرين على جهاز الدولة الإقتصادي والصناعي فازداد عدد المؤسسات المالية اليهودية ومن أبرزها شركة أنجلو – ليفاتيشن)، (شركة تطوير الأراضي الفلسطينية) وشركة أرض إسرائيل وغيرها من الشركات الإستثمارية والمصرفية اليهودية التي لعبت دورا بارزا في تعزيز الصهيونية في فلسطين[1].

ومن ناحية أخرى نشطت حركة الإقتصاد في الدولة عن طريق الشركات اليهودية والعلاقات التي كانت تقيمها مع أوروبا، حيث أنهم كانوا يمدون الدولة بالدعم المالي والإقتصادي للدول الأوروبية، وتؤكد المراجع المختلفة أن يهود إستانبول كانوا يديرون أنشطة تبلغ 20 مهنة مختلفة[2].

ج) البنوك الصهيونية:

أما المؤسسات التي أنشأتها المنظمة الصهيونية لتحقيق أغراضها في استيطان فلسطين فكانت:

- **البنك الإستيطاني الصهيوني بمؤسساته المتفرعة:** وهو شركة مسجلة في لندن سنة 1899م كجهاز مالي للمنظمة الصهيونية برأسمال قدرة 2مليون جنيه إسترليني ،من أجل تطوير فلسطين، والبلاد المجاورة صناعيا وتجاريا.
- **بنك آنجلوا – فلسطين:** وفروعه في يافا، القدس، حيفا، الضفة، بيروت، الخليل، طبريا وغزة، وهو شركة مسجلة في لندن برأسمال قدره (100 ألف) جنيه إسترليني عام 1904م كشركة متفرعة من turst تمنح قروضا لأغراض صناعية وتجارية.
- **الصندوق القومي اليهودي:** أو ما يطلق عليه بالعبرية (كيرين كاييمتا) المسجل كشركة إنجليزية سنة 1902م اكتتب له 300 ألف جنيه إسترليني، هدفه جمع الأموال بشتى السبل للحصول على أرض في فلسطين للشعب اليهودي[3]

(1)هدى درويش مرجع سابق، ص 39.

(2) المرجع نفسه، ص 359 وما بعدها،

(3) هدى درويش، مرجع سابق، ص 361.

وكحصيلة لهذا نقول أنه في الوقت الذي كان فيه السلطان عبد الحميد قد عقد العزم على السعي من أجل تدارك الوضع وإصلاح ما يمكن إصلاحه من أجل رفع المستوى الإقتصادي للدولة وتسديد الديون التي أثقلت كاهلها[1]، كان اليهود في الوقت ذاته قد اعتقدوا أنه آن الأوان من حصد ثمار ما زرعوه من أجل الوصول بالأوضاع الإقتصادية في الدولة العثمانية إلى الوضع المتردي الذي آلت إليه، وهيئ لهم أنّ بإمكانهم استغلال هذا الوضع من أجل تحقيق مخططاتهم.

(1) يلماز أوزتونا، مرجع سابق، ص 127.

الأساليب السياسية:

قبل ظهور الحركة الصهيونية الحديثة في إطارها السياسي المحدد ،كان هناك العديد من المحاولات التي مهدت لظهورها، والتي تمثلت في جهود فردية لشخصيات يهودية بارزة، أو جمعيات ومنظمات يهودية متناثرة في شتى أنحاء العالم كان لها دور ضليع في رسم ملامح الطريق لها، ومن بين هذه المحاولات نذكر على سبيل المثال:

أ) **الجمعيات والمنظمات الصهيونية:**

جمعية محبي القدس الشريف (**تامبلtampel**): أسس هذه الجمعية مجموعة من يهود ألمانيا الذين كانوا يسعون للهجرة إلى فلسطين وذلك في عام 1860م[1]، وكان رئيس الجمعية (هوفمانhoffmon) من مدينة ورتنيرغ بألمانيا في عام 1868م، قام هذا الأخير بالسفر إلى الدولة العثمانية وتقديم طلب إلى السلطان عبد العزيز (1861– 1876م) ليسمح لهم بتأسيس مستعمرة يهودية ألمانية في فلسطين، وبالفعل حصلوا على الإذن بذلك[2] _ويمكن إرجاع موقف السلطان عبد العزيز لتأثير يهود الدونمة عليه_ بينما قد تمكن عدد كبير منهم في تلك الفترة من الوصول إلى مناصب قيادية في الدولة.

جمعية محبي صهيون thwioh chibba:

تأسست من قبل مجموعة من اليهود الروس في مدينة أديسا Odessa الروسية، ثمّ انتشرت فروعها في سائر المدن الروسية بل وفي شرق أوروبا وفرنسا وإنجلترا، وهدفها تشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين ونشر الأدب والتاريخ اليهودي وتعليم اللغة العبرية وجعلها لغة حية، وفي خطوة منها على طريق العمل الجاد لتحقيق غايتها عقدت الجمعية مؤتمر (كاتوويتز kottowitz) في روسيا برئاسة ليون بنسكر وآخرون من مندوبي فروع الجمعية، وكان من أهم قرارات هذا المؤتمر:

---

(1) رفيق شاكر النتشة، مرجع سابق، ص 100.

(2) لقد أكد ذلك المؤرخ التركي إسماعيل سرهنك في كتابه (حقائق الأخبار عن دول البحار) حيث يقول في توثيقه لأحداث 1868م: " جاء قوم من مملكة ور تنبرغ الألمانية وأنشأوا في الجهة الغربية من على مقربة من موقع حيفا القديمة مستعمرة متقنة البناء، كثرت فيها الصناعة والزراعة، فأحيوا كثيرا من الأرض، وأوجدوا مركبات تسير بين حيفا وعكة والناصرة، وقد تساهلت الدولة العثمانية لرغبتها في إصلاح تلك الجهات. – إسماعيل سرهنك، ج 1 مصدر سابق، ص 481.

- دعم الاستيطان الصهيوني في فلسطين.
- تشجيع أصحاب رؤوس الأموال من اليهود للتبرع لصالح المستعمرات اليهودية[1].

إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني كان أكثر من سابقيه توخيا للحذر من اليهود وسكاً في نواياهم، لذا فقد أوعز إلى القنصل العثماني برفض هذا الطلب.وإمعانا في تأكيد هذا الموقف أصدر السلطان عبد الحميد فرمانا[2] في عام 1882م ،نص فيه على ضرورة إشعار جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة العثمانية بأنه لن يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين، ولهم الحق في الهجرة إلى أي منطقة عثمانية أخرى غير فلسطين، إلا أنّ بعض اليهود قد تمكنوا من التسلل إلى فلسطين والإستيطان فيها وذلك باستعمال أساليب ملتوية.

وعلى العموم فقد كان لهذا النشاط الصهيوني المبكر أهمية بالغة في تهيئة المناخ المناسب لمولد الحركة الصهيونية السياسية الدولية الحديثة في أوائل ق 14هـ/ ق 19م على يد الزعيم تيودور هرتزل الذي يعد بحق مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة، كما كان لهذا النشاط أهمية بالغة في جذب أنصار دول العالم إلى الصهيونية، باعتبارها حركة يمكن استغلالها لتنفيذ المصالح الإستعمارية، وكذا كان له دور رائد في إيقاظ الفكر اليهودي وجذبه نحو فلسطين.[3]

ب)**المؤتمر الصهيوني الأول**: 1315هـ 1897م: كوسيلة سياسية للتغلغل في أوساط الدولة العثمانية والقضاء عليها.

عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة **بازل** السويسرية في الفترة مابين 29-31 أوت من العام 1897م، وقد حضره مائتا مندوب عن اليهود من كل أنحاء العالم تلبية لدعوة هرتزل لمناقشة الوسائل التي يجب العمل بها للنهوض بالصهيونية وإنشاء الدولة اليهودية، ولم يكن المؤتمر اجتماعا سريا بل

---

(1) عبد العزيز الشناوي،**الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**. ج 2،ط2 .مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .1986.ص 972.

(2) الفرمان: كلمة فارسية الأصل وهو القرار الذي يعده الصدر الأعظم بعد عرضه على الديوان الإمبراطوري ثم يعرضه على السلطان فإذا وافق عليه وضع عليه الصدر الأعظم ختم السلطان، والفرمانات السلطانية منها ما هو خاص بولاية معينة ومنها ما هو عام لجميع الولايات. – عبد العزيز الشناوي، ج 2، مرجع سابق، ص 968.

(3) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 53.

عقد بعد أكبر قدر من الدعاية، كما حضر جلسته الإفتتاحية مراسلون عن إثني عشر صحيفة من مختلف أنحاء العالم.

وبعد ثلاثة أيام من المناقشات خرج المؤتمرون بعدة قرارات مهمة والتي أطلق عليها فيما بعد برنامج بازل، وهو تعبير عن برنامج السياسة الصهيونية لإنشاء الدولة اليهودية في فلسطين[1].

برنامج بازل:

- تشجيع الإستثمار الإستيطاني في فلسطين على أسس مناسبة من قبل العمال الزراعيين والصناعيين اليهود؛
- تقوية وتعزيز الشعور القومي لدى اليهود ونشر اللغة العبرية؛
- اتخاذ خطوات تمهيدية من أجل الحصول على موافقة دولية لتحقيق أهداف الصهيونية.

ومن الناحية التنفيذية أسس المؤتمر المنظمة الصهيونية العالمية z.w.o[2]، وانتخب هرتزل رئيسا لها، كما أقرّ المؤتمر شكل العلم الرسمي للدولة اليهودية المرتقبة ونشيدها القومي[3].

ج) **بروتوكولات حكماء صهيون**: يتصل بالمؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م تلك القرارات السرية التي يطلق عليها " بروتوكولات حكماء صهيون "، وهي عبارة عن وثائق لمجموعة من المحاضرات تشتمل على البرنامج السياسي بالدرجة الأولى،والإقتصادي والإعلامي الذي يتوجب على اليهود اتباعه حتى يتمكنوا من بسط سيادتهم على العالم وإقامة مملكة إسرائيل[4].

---

(1) إسماعيل أحمد ياغي، **الجذور التاريخية للقضية الفلسطيني**ة، ط 2، دار المريخ، الرياض، 1983، ص 45.

(2) كان للمؤتمر أبعاد سياسية وأهداف باطنية بعيدة المدى حيث ذكر هرتزل في مذكراته عقب انعقاد المؤتمر يقول: " لو طلب مني أن ألخص مؤتمر بازل في كلمة – وعلى أن أحرص على عدم تلفظها بصوت عال _ لكانت هي: في بازل أسست الدولة اليهودية، لو قلت ذلك بصوت عال لضحك الجميع مني لكن ربما في خمس سنوات، وبالتأكيد في خمسين سنة سيعلم كل واحد بالأمر "، وهذا ما تحقق فعلا في 1947م بصدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل وبعد مضي خمسين عاما، وهذا ما يعكس أنه قد كان للمؤتمر برنامج سري يضمن قيام الدولة اليهودية وفق ترتيب سياسي وزمني معين. – يوميات هرتزل، مصدر سابق، ص 89.

(3) محمد خليفة التونسي، **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون**، ط 7، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م، ص ص 47 48.

(4) محمد خليفة التونسي، المرجع نفسه، ص 49.

وبالنسبة لمصدر هذه الوثائق فإن تيودور هرتزل هو واضعها، حيث كانت عبارة عن محاضرات سرية يلقيها أعضاء المؤتمر الصهيوني الأول[1]، إلا أن هذه الوثائق فقدت سريتها بعد تسرب عدد منها على يد سيدة فرنسية[2].ومن هنا افتضحت نيات اليهود الإجرامية فجنّ جنونهم واستولى عليهم الرعب، لأن اكتشاف هذا الأمر يعني أن يجعل شعوب العالم في حذر شديد من اليهود، وهذا ما قد يؤدي إلى إفشال أهدافها ومهامها، ولهذا قام اليهود بإنكار هذه الوثائق، وأنها ألصقت بهم زورا، وقد استغلوا كل نفوذهم لمنع طباعة ونشر هذه النسخ في كل أنحاء العالم[3].

ورغم كل محاولات اليهود للتنصل من جريمتهم فقد فشلوا في إقناع العالم بخطأ نية ذلك المخطط، يضاف إلى ذلك أنه قد اعترف بها بعض اليهود أمثال المحامي " هنري كلين " حيث نشر في صحيفته صرت المرأة التي تصدر في شيكاغو 1945م كلمة قال فيها: " إن البروتوكولات هي الخطة التي وضعت للسيطرة على العالم أمر حقيقي ثابت...، ولقد طردني اليهود من صفوفهم لأني أنكرت عليهم خططهم الشريرة"[4].

ومن أهم عناصر المخطط الصهيوني المنطوية تحت بروتوكولات حكماء صهيون:

- إن لليهود منذ قرون غابرة خطة سرية غايتها السيطرة على العالم[5]؛
- إن الحكم صناعة مقدسة لا يتقنها في اعتقادهم إلا اليهود، لذا فهم يسعون لهدم الحكوماتفي كل أنحاء العالم، ويهيئون كل الوسائل كإغراء الحكام باضطهاد الشعوب وإغراء الشعوب بالتمرد على الحكام[6]؛

---

(1) حسن حلاق، المرجع السابق، ص 135.

(2) استطاعت هذه السيدة سرقتها من أحد كبار زعماء الماسونية أثناء اجتماعها في وكر من أوكارها السرية في فرنسا، وسلمتها إلى أحد أعيان روسيا يدعى نيقولا نيفيتشي، لأن الوثائق تضمنت مخططات تهدف إلى تدمير روسيا، ومن ثم تم ترجمتها إلى اللغة الروسية في 1902 صدرت أول طبعة لها تحت إسم بروتوكولات حكماء صهيون. – محمد خليفة التونسي ، المرجع السابق، ص22 وما بعدها.

(3) هيلة ، المرجع السابق، ص 86.

(4) عبد الله التل، المرجع سابق، ص 165.

(5) محمد خليفة التونسي، المرجعالسابق، ص 31.

(6) عجاج نويهض، **بروتوكولات حكماء صهيون**، د ط، دار التعاون للطباعة والنشر، مصر، 1967، " وما بعدها.

- إلقاء بذور الفرقة في كل دولة عن طريق الأحزاب السياسية والفرق الدينية والمحافل الماسونية والأندية على اختلاف أنشطتها؛
- افتعال الأزمات السياسية بين الدول، ومن ثمّ السعي لافتعال الحروب التي تكون محصلتها الحقيقية خسارة الطرفين المتحاربين وتعود على اليهود بالربح[1]؛
- السعي لافتعال الأزمات الإقتصادية في كل دول العالم، لتضطر إلى الاستعانة باليهود لفك أزماتها وهذا ما فعله تيودور هرتزل عندما اقترح المساعدة المالية على السلطان عبد الحميد الثاني من أجل إخراج الدولة من أزمتها المالية الخانقة، إلا أنه فشل في ذلك[2].
- وعمدوا بذلك على تعزيز محافل الماسونية[3]،

كما جاء في البروتوكول السابع والذي يتعلق بسيطرة اليهود على الصحافة ودور النشر في معظم دول العالم كوسيلة للنيل من الدولة العثمانية وجاء فيه: " لكي نعزز خطتنا العالمية الواسعة التي تقترب من نهايتها المشتهاة يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأمميين بما يقال له الآراء العامة التي دبرناها في الحقيقة من قبل متوسلين بأعظم القوى جميعا وهي الصحافة، وإنها جميعا لفي أيدينا..."[4]وبهذا أصبحت سيطرة الصهيونية على الصحافة العالمية من الأمور المسلم بها، ففي بريطانيا مثلا تسيطر على أشهر الصحف وأهمها: التايمز، النيوز...

أما في فرنسا فقد سيطر اليهود على صحيفة لوفيغارو ولوكوتيديان، أما في أمريكا فكانت صحيفة نيويورك تايمز أكبر صحيفة سيطر عليها اليهود منذ 1896م[5].

أما عن سيطرة اليهود على الصحافة ودور النشر في داخل الدولة العثمانية فيكفي أن نعرف أنّ عددا كبيرا من الصحف التي كانت تصدر في تركيا كان يسيطر عليها شخصيات من اليهود الدونمة مثل الصباح والجديد[6].

---

(1) هيلة بنت سعد السليمي، مرجع سابق، ص 87.

(2) عجاج نويهض، مرجع سابق، ص 299.

(3) سوف نتطرق إلى تعريفها في المبحث الثالث.

(4) محمد خليف التونسي، مرجع سابق، ص 128.

(6) فؤاد الرفاعي، **النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية**، ط2، دار صلاح الدين، الكويت، 1407هـ/ 1987م، ص 14 وما بعدها.

كما قام بعض الكتاب والمفكرين اليهود بوضع قواعد السياسة العنصرية التي سارت عليها بعض المنظمات الثورية مثل جمعية الإتحاد والترقي.(1) وأكبر حدث يبرز وجود الصهاينة في قلب الأحداث السياسية في الدولة العثمانية ما قام به عملاء الصهاينة أمثال مدحت باشا الدونمي الماسوني بالضغط على السلطان عبد الحميد لإعلان الدستور بإثارة الرأي العام وراء أهداف خفية تسعى للإطاحة بالدولة العثمانية، وفي ظاهرها إصلاح وديمقراطية وهذا ما أشار إليه السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته لأنه كان على علم بما يخطط له مدحت باشا ورفقائه(2).

لم تترك البروتوكولات قضية من قضايا الدولة العثمانية إلا ونشطتها ضدها، فقد كان الأفكار القومية والتعصبات العرقية نصيب من هته البروتوكولات حيث ورد في البروتوكول الخامس: "...لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره من جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية..."(3).

إن اليهود لم يهيمنوا على المجتمعات وحسب عن طريق الصحافة والإعلام وقوة المال بل سيسيطرون كذلك على عالم الأفكار، ولهذا السبب اخترع حكماء صهيون على حد قول أحد المدافعين عن القيصرية الروسية التي مستها هي الأخرى هته البروتوكولات أفكار مثل الحرية، الإخاء والمساواة قديمة بقدم البشرية نفسها، وبشرت بها جميع الأديان السماوية وفي مقدمتها الإسلام قبل كتابة البروتوكولات بعشرات القرون(4).

(1)قيس جواد العزاوي، **الدولة العثمانية–قراءة جديدة في عوامل الإنحطاط**،ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1414هـ/1994م، ص35 وما بعدها.–سليمان بن صالح الخراش، **كيف سقطت الدولة العثمانية**، ط 1، دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 2000م، ص ص 21 22.

(2) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص 8 وما بعدها.

(3) محمد خليفة التونسي، المرجع السابق، 122

(4)عبد الوهاب المسيري، **البروتوكولات واليهودية والصهيونية**، ط3، دار الشروق، مصر، 2003، ص 25.

3)الهجرة كأسلوب مباشر للتغلغل:

أ) **الهجرة اليهودية إلى البلاد العثمانية:**

لم تكن المساعي اليهودية الصهيونية للهجرةإلى فلسطين وليدة مؤتمر بازل، بل سبقتها محاولات عديدة، ففي عام 1893م قام المصرفي اليهودي المعروف بالسيد **صاموئيل مانتاجو** (الذي كان عضوا في المجلس النيابي البريطاني عن حزب الأحرار، ورئيسا لجمعية أحباء صهيون في بريطانيا والذي أصبح لوردا فيما بعد)، والذي قدّم للسلطان عبد الحميد طلبا رجاه فيه السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، إلا أن السلطان رفض ،رغم هذا لم تتوقف محاولات جمعية أحباء صهيون، ولذلك أرسلت أحد أعضاءها البارزين وهو **لورينس أوليغانت** مؤلف كتاب سماه "أرض جلعاد ونزهات في جبل لبنان" لكي يعرض على السلطان رغبة اليهود في تعمير الدولة العثمانية وتجديد شبابها، على أن يوافق السلطان على السماح لهم بالاستيطان في البلاد العربية، فرد عليه السلطان: " إن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أي مكان من المملكة إلا فلسطين لأن الدولة ترحب بالمضطهدين لكننا نرفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين"[(1)].

نشط هرتزل بحركة وبسعي حثيث لكي يحق ما لم يقدر على تحقيقه من سبقه، فجاء بكل السبل والأساليب وال إغراءات وطرق الضغط بإرسال الرسائل للسلطان ورجال القصر وتكليف الشخصيات البارزة التي لها علاقة خاصة به، بما فيهم الأباطرة والزعماء، ثم القيام بزيارات متعاقبة إلى إستانبول، فقد قام في الفترة الممتدة بين الأعوام 1896 و 1902م بخمس زيارات قابل فيها السلطان مرتين، الأولى كانت قبل مؤتمر بازل في 1896م[(2)]،وفي كتابه توقف عند فلسطين بقوله : " أما فلسطين فهي وطننا التاريخي الذي لن ينسى أبدا، واسمها فقط سيجذب شعبنا إليه بقوة، وإذا فرض أن السلطان سيعطينا فلسطين فإننا في المقابل سنتولى إدارة المالية كلها"[(3)].

---

(1)عبد الأمير الأنباري، مرجع سابق، ص 225.

(2) وهذا يعني أن اتصالاته لتحقيق غرضه كانت قد بدأت قبل سنة من عقد المؤتمر الصهيوني لعله يمهد الطريق لنشاطه الواسع، أو فعل ذلك جسا للنبض في مركز القرار حتى يرى ماذا يقول في المؤتمر الصهيوني وماذا يعمل بعده. —موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص 226.

(3)Theodor Hertzel .**the jewif stite** . 5 th. London. H. pordos. 1967. P 30.

لقد ساندت الجمعيات اليهودية فكرة هرتزل وأطلق عليه لقب موسى الجديد، ودعته إلى قيادة الحركة السياسية ولهذا ترى أن هرتزل يشكل حجر الأساس في انطلاقة الحركة الصهيونية وتحقيق أهدافها في استعمار فلسطين[1].

وقد اتخذت الصهيونية العالمية مصطلح العودة إلى فلسطين والوعد الإلهي وأرض الميعاد هدفها وشعارها وغلفته بغلاف ديني باطل، وجعلته واجبا دينيا ليكون ذلك البعد الديني سبيلها إلى تحقيق أهدافها السياسية، ولم تكن هذه الترهات والخزعبلات إلا من وحي وخيالات كهنتهم الذين كتبوا توراتهم بأيديهم، ولا غرابة أن تمتد هذه الأيدي الآثمة الملطخة بدماء أنبيائهم إلى كلام الله لتعبث به وما ذلك إلا قليل من كثير مما جبلت عليه نفوسهم[2].قال تعالى: " وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " صدق الله العظيم.[3]

وقد انطلق اليهود لتحقيق مخططهم على أساس أنهم أصحاب عقيدة صحيحة من عند الله (اليهودية)، وأنهم ورثة الأرض عن الأنبياء اليهود (إبراهيم، إسحاق ويعقوب) وهذا خطأ وبدئوا باغتصاب أرض فلسطين تمهيدا لاغتصاب أرض المسلمين كلها[4].

أما الزيارة الثانية فكانت بعد المؤتمر في عام 1898م، والثالثة في 1901موالرابعة والخامسة فكانتا في 1902م، وكل واحدة من تلك الزيارات كانت تتم بطريقة تختلف عن الأخرى من حيث الإغراءات والوسائل المتبعة في طرح المطالب ، في الزيارة الأولى التي كانت في 3/ 5/ 1896م، وهو لقاء هرتزل وعزت بيك " الرجل المقرب من السلطان "، وكان يريد هرتزل من الزيارة توسط عزت بيك للسلطان، وقيام كيان مستقل لهم فيها، والمقابل الذي تحصل عليه الدولة العثمانية هو كما قال

(1) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة تاريخ الصهيونية"، ج 3، دار حسام، القاهرة، 1999، ص 24 وما بعدها.

-حسن صبري الخولي، **سياسة الإستعمار والصهيونية اتجاه فلسطين في النصف الأول من القرن 20**، ج 1، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص 15 16 17.

(2) أحمد سالم رحال، **فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلموذ**، ط 1، دار البداية، عمان، 2008، ص 17.

(3) سورة البقرة، الآية 61.

(4) د/ جمال عبد الهادي وآخرون، **أخطاء يجب أن تصحح – ليس لليهود حق في فلسطين**، د ط، الوفاء للطباعة والنشر، 1981، المنصورة، ص 16

هرتزل: " نحن مستعدون أن تسوى أوضاع تركيا المالية "، وهذا أول ظهور علني لأطماع الصهاينة في فلسطين والمنطقة العربية، إضافة إلى الإغراءات المالية وعد هرتزل السلطان بحل القضية الأرمينية والتي أدت إلى توتر العلاقات بين الأوروبيين والدولة لعثمانية ،ودفعت بالدول الأوروبية إلى التدخل في شؤونها ،وحقيقة هذه القضية أنها مفتعلة ولم يكن للأرمن فيها شيء.

أما الزيارة الثانية لهرتزل فكانت أثناء الزيارة التي قام بها إمبراطور ألمانيا إلى إستنبول عام 1898م ولم تأت بأي شيء رغم وساطة الإمبراطور، وزيارة ثالثة في عام 1901، وهي الأخرى لم يكن من ورائها نتيجة، وأخيرا الزيارتين الرابعة والخامسة اللتين كانتا على فترتين في السنة ذاتها 1902م.

وعندما التقى هرتزل بالسلطان طرح عليه وبكل وقاحة أن المشكلة اليهودية ستحل يوم يقوى اليهودي على قيادة محراثه بيده، وعلق عبد الحميد على ذلك بأن هرتزل يسعى لتأمين أرض لإخوانه اليهود، ولكن ذكاءه لا يكفي لحل جميع المشاكل[1]، ولهذا كان السلطان كثير الريب وحذرا من تحركات الصهاينة والماسونيين، وحذره كان في مكانه حيث حاولوا اغتياله في 21 جويلية 1905م إلا أنها باءت بالفشل، مما أدى بهم إلى السعي من أجل خلعه وقد كان لهم ذلك وهذا بسبب مواقفه المعادية لهم والرافضة لمشاريعهم.

ب)**موقف السلطان من الهجرة اليهودية إلى البلاد العثمانية (فلسطين)**:

للسلطان عبد الحميد مواقف مشهودة من الهجرة اليهودية[2] إلى مشرق الوطن العربي الواقع تحت السيطرة العثمانية، وذلك من خلال الردود التي كان يتلقاها الزعماء الصهاينة وعلى رأسهم هرتزل من السلطان والتي كانت قاسية وعنيفة على أسماع أولئك اليهود. لكنها لم تصل إلى قسوتهم وإيذاءهم للسلطان لما كان يسمعه منهم من كلام (المطالبة بسلب الأرض واستيطانها، إقامة كيان سياسي غريب عليها...)، متبعين أساليب وطرق ملتوية[3]،وبهذا قام السلطان عبد الحميد الثاني إصدار

(1)مذكرات السلطان ،مصدرسابق، ص 30 وما بعدها.

(2)انظر الملحق رقم 2.

(3) عبد الأمير الأنباري، مرجع سابق، ص 233.

مجموعة من القوانين[1]من أجل تدارك الخطر الصهيوني على الأراضي العربية التي تقع تحت السيطرة العثمانية.

وعلى الرغم من وضوح الموقف العثماني تجاه طلب اليهود فإن ذلك لم يمنع جماعة منهم من التسلل إلى فلسطين، وإزاء هذا التصرف بعث السلطان إلى والي القدس يأمره بأن لا يسمح لأي يهودي قادم من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا بأن يدخل فلسطين[2].وأوعزت الحكومة العثمانية إلى قناصلها من جميع الدول بعدم التأشير على جوازات سفر اليهود إلا بغرض الزيارة الدينية ولفترة محدودة[3].

وإزاء المحاولات المتزايدة لشراء الأراضي الفلسطينية من قبل بعض الجمعيات اليهودية أصدر السلطان في 1892 فرمانا يحرم فيه بيع الأراضي الفلسطينية لليهود ولو كانوا رعايا عثمانيين[4]. لكن ورغم الحرص الشديد الذي أبدته الحكومة العثمانية ممثلة في السلطان عبد الحميد الثاني والإجراءات الصارمة التي اتخذها تجاه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، إلا أن الهجرة استمرت في التدفق ويمكن أن نرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب:

- تفشي الفساد في الجهاز الإداري في فلسطين؛
- سوء النظام الإداري؛
- استغلال الدول الأجنبية للمعاهدات والامتيازات الممنوحة لها من قبل الدولة العثمانية.[5]

وفي الأخير نقول أنه لولا الإجراءات التي اتخذها السلطان عبد الحميد الثاني من أجل منع اليهود من التواجد في مناطق الاستيطان، ورفضه لكل مشاريعهم لكانت فلسطين وأجزاء من المشرق العربي قد أغرقت بأولئك المهجرين، إذن نقول أن ماقام به السلطان عيد الحميد الثاني من أعمال قد

---

(1) **القانون الأول**: الذي صدر بتاريخ 21ذي القعدة 1308 هـ/ 1981 م، أما **القانون الثاني**: الصادر بعد 7 أيام من صدور القانون الأول، و**القانون الثالث**: في 29 ذي القعدة 1308 هـ/ 1891م، و**أخيرا القانون الرابع**: في عام 1900عبد الأمير الأنباري، مرجع سابق، ص 262 وما بعدها.

(2) حسن حلاق، مرجع سابق، ص 95 وما بعدها.

(3) أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 84.

(4) رفيق النتشة، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، ص 172.

(5) عبد الأمير الأنباري، مرجع سابق، ص 265.

أضعف التواجد الصهيوني في منطقة المشرق العربية عموما والتاريخ يشهد له بذلك، وهذا ما أجبر الصهاينة على تغيير الطريق من خلال عزل السلطان عبد الحميد الثاني ونزع العقبة من طريقهم، وهكذا كانت المؤامرة اليهودية الصهيونية الأوروبية التي استهدفت إقصاء السلطان من الحكم،[1] بعد أن فشلت مساعيهم وإغراءاتهم في تغيير موقفه الرافض لمشروعهم الصهيوني الإستيطاني.

(1)انظر الملحق رقم 3.

المبحث الثاني: مظاهر الدعم الأوروبي للحركة الصهيونية:

من المعروف تاريخيا أن العلاقة بين الصهيونية والاستعمار علاقة وثيقة وقديمة قدم الصهيونية، إذ أنها علاقة مصلحيه تقوم على تلاقي الأهداف والمصالح والمخططات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين "[1].

لقد سعت الدول الأوروبية إلى دعم مشروع الصهيونية بمختلف الوسائل والأساليب تحت عدة ذرائع، منها الدينية والتجارية، هذه المساعي تجسدت أخيرا فيما سمي بوعد بيلفور 1335هـ/ 1917م[2]، هذا الوعد الذي كانت جذوره قديمة قدم الصهيونية، والكل تآمر وبشكل واضح وصريح وموثق دون استثناء وكان أهم اللاعبين: بريطانيا، فرنسا، و م أ، ألمانيا، روسيا إضافة إلى الشريف حسين[3] قبل الوعد وملوك العرب بعده..

كان السلطان سليم الثالث[4] جد السلطان عبد الحميد يعبر عن نفوذ الدول الأوروبية في الدولة العثمانية بقوله: " إن أيدي الأجانب تتجول متنزهة فوق كبدي"، أما السلطان عبد الحميد فقد أضاف على قول السلطان سليم بقوله: " إن أيدي هؤلاء الأجانب ليست فوق كبدي وإنما داخله"، معبرا عن سريان نفوذهم داخل الدولة، وتأثيرهم على الضباط الشباب في الجيش من أجل القيام بعزل

---

(1) سورة المائدة؛ الآية 51.

(2) آرثر جيمس بيلفور: سياسي بريطاني شغل عدة مناصب سياسية مهمة، عين وزيرا للخزانة في عام 1308هـ / 1891 م، وفي عام 1902م خلف خاله ألمار كنر سالسبوري في رئاسة الوزراء، وأثناء ح ع 1 عين وزيرا للخارجية، وأصدر بذلك تصريحه المعروف باسمه في عام 1917م، والذي يقضي بتعهد الحكومة البريطانية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عقب الحرب. – هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 111.

(3) الشريف حسين: هو سليل الدولة الهاشمية، يعود نسبه إلى آل البيت إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها، أجبر على الإقامة في الأستانة، عين بعدها أميرا على مكة، وأولاده: فيصل، طلال وعبد الله.ـــجورج أنطونيوس,مصدر سابف,ص224.

(4) السلطان سليم الثالث: (1789 – 1807م) حاول القيام بعدة إصلاحات إلا أن الظروف الداخلية والخارجية حالت دون ذلك في عهده أقيمت أول سفارات تركية دائمة في فيينا ولندن وباريس، تم اغتياله على يد الجيش الإنكشاري عندما حاول تطبيق إصلاحات عليه. – نيل ألكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002، ص 49.

السلطان، ومن ثم إسقاط الدولة ككل، وقد عبر السلطان عن هذا بقوله: " يشترون صدوري العظام ووزرائي ويستخدمونهم ضد بلادي".

1)الدعم المادي الأوروبي للحركة الصهيونية:

أ) الدعم الفرنسي لمشاريع الصهيونية:

كان التأييد الفرنسي للحركة الصهيونية واضحا في عهد نابليون بونابارت[1]، حيث قام نابليون بدعوة اليهود إلى احتلال فلسطين عن طريق القوة، وكانت فرنسا في تلك الفترة في حاجة إلى التمويل اليهودي وكان نابليون يصف اليهود بقوله إنهم ورثة فلسطين الشرعيين[2].

وكان لهذا التأييد خلفيات منها أن من مصلحة فرنسا أن يكون اليهود هم من يستوطنون الطريق المؤدية إلى الهند والصين (طرق تجارية)، وكذا أرادت فرنسا أن تكسب تعاون اليهود في حروبها، والاستفادة من ثرواتهم وأموالهم لدعم مشاريعها، هذا وقد سعت فرنسا من دعمها للحركة الصهيونية إلى ضمان دوام إشعال الفتن وإحلال الأزمات داخل الدولة العثمانية من قبل اليهود من أجل القضاء عليها[3]. ويعتقد البعض أن حملة نابليون على مصر عام 1798م كانت فاتحة التطلع الصهيوني نحو فلسطين، وقد ظلت الدعاية اليهودية تشير إلى دعوة نابليون هذه على أنها اعتراف أوروبي بحقوق اليهود في فلسطين، كما أنها تعد بداية التعاون بين الحكومات الأوروبية واليهود على حساب العرب، يبدو أن نابليون قد أصدر هذا النداء من أجل كسب اليهود بغرض استغلال نفوذهم في أقطار الدولة العثمانية ومعاونتهم له في تحقيق أغراضه[4].

(1) نابليون إمبراطور فرنسا ولد في عام 1769 في جزيرة كورسيكا، تخرج من المدرسة العسكرية بباريس وعين ضابط في المدفعية، لفت إليه الأنظار لما خاضه من الحروب في تلك الفترة، وفي عام 1798 وضع خطة لضرب الإنجليز باحتلال مصر، في 1799 قام بانقلاب على الحكومة الفرنسية وتوج إمبراطورا لفرنسا، بعد ذلك تكون تحالف أوروبي ضده وهزم في معركة واترلو 1815، نفي إلى آلبا وقضى سنوات نفيه في كتابة مذكراته، توفي عام1821، هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 113.

(2) صادق جلال العظم، **الصهيونية والصراع الطبقي**، تعريب: ماهر عسل، ط 1، دار الكتاب العربي، 1969، ص 30 .

(3)Scipion morin**. Conduite de la France envers la turque egrimbert et dorez**. Libraires. Paris. 1840. P p 8 9.

(4) عمر عمر عبد العزيز، **تاريخ المشرق العربي 1516– 1922م**، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2014، ص ص 375 376.

وجه نابليون نداءا ليهود في آسيا وإفريقيا أن يتعاونوا من أجل تحقيق إعادة مملكة القدس القديمة، وجند الكثير منهم في جيشه، وكان ينوي الزحف إلى إستنبول والاستيلاء عليها، وكانت فكرة إعادة القدس لليهود وتحقيق الصهاينة مشروعهم هي بداية الخطط التي كان ينوي تنفيذها فيما بعد[1].

وتقول معظم الدراسات أن تأييد نابليون للمشروع الصهيوني في استيطان فلسطين كان له هدف وهو إيجاد حاجز مادي بشري يفصل بين مصر وسوريا، واستغلال ذلك في تسهيل وتدعيم الإحتلال الفرنسي لكل منهما كما كان نابليون يهدف إلى تهديد مصالح بريطانيا من خلال إغلاق طريق مواصلاتها المؤدي إلى الهند.

وقد تجسد هذا التأييد على أرض الواقع في عدة صور أهمها أنه في سنة 1880م تأسس في فرنسا الإتحاد الإسرائيلي العالمي برعاية مجموعة من الشخصيات اليهودية الفرنسية، هدفه تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتقديم دعم مادي للمستوطنين، وكذلك في سنة 1885م تأسست مدارس مهنية لتدريب اليهود على الأعمال المهنية بدعم فرنسي، أهمها: المدرسة الزراعية التي أنشئت بالقرب من يافا لتدريب المهاجرين اليهود على الأعمال الزراعية[2]. وإسنادا إلى هذا يمكننا القول أن تلاقي المصالح الإستعمارية الأوروبية مع مصالح اليهود كان أحد أهم مصادر الحركة الصهيونية.

أ) الدعم البريطاني:

إن دعم بريطانيا للحركة الصهيونية إنما هو من أجل مصالحها في المنطقة العربية خاصة عندما ظهر على مسرح الأحداث خطر جديد يتمثل في " **محمد علي**" [3]الذي اجتاحت جيوشه سوريا

(1) أمين عبد الله محمود، "مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، **مجلة عالم المعرفة**، العدد 74.

(2) حبيب قهوجي، إستراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة، د ط، مؤسسة الأرض المحتلة للدراسات الفلسطينية، دمشق، 1978ك، ص ص 49 50.

(3) محمد على بن إبراهيم آغا ألباني الأصل ولد في قولة في 1769م قدم إلى مصر في إحدى الحملات التي جهزت لإجلاء نابليون، اشترك في معركة أبوقير 1799م، وجاءته فرصة حينما ضاق المصريون ذرعا بحكم رشيد باشا، وطلبوا ممن الحكومة العثمانية تولية محمد علي عليهم فلبى السلطان وعينه واليا على مصر في 1805م، لكن طموحاته كانت كبيرة دفعته للتوسع على حساب الدولة العثمانية إلا أن هذه الأخيرة منعته من التوسع بمساعدة الدول الإستعمارية وبمقتضى معاهدة لندن 1840م لم يبق لمحمد علي نسوى حكم مصر، توفي في عام 1849 ودفن بالقاهرة.

–خير الدين الزركلي الأعلام، ج 2، دار العلم للملايين، بيروت،1986، ص 219.

وفلسطين، وكان في طريقه إلى استانبول سنة 1831م، وبهذا رأت بريطانيا أن مواجهته أصعب من مواجهة الدولة العثمانية الضعيفة[1].

إزاء هذه الأخطار المحدقة بالمصالح البريطانية عامة ومصالحها في المنطقة العربية خاصة، سلكت اتجاهين في التصدي لها ،الأول أنها راحت تساند الدولة العثمانية في وضع حد لأطماع محمد علي باشا التوسعية،و الثاني أنها كرست جهودها من أجل تحقيق آمال اليهود في العودة إلى فلسطين،ليقوموا كما ذكرنا بحراسة مصالحها في المنطقة[2].

أن استعانة نابليون باليهود في سبيل تحقيق أهدافه الإستعمارية نبه بريطانيا إلى إمكانية استغلال عواطف هذا العنصر البشري الدينية نحو فلسطين ،لضمان استمرار نفوذها في المنطقة، ففي أعقاب هزيمة نابليون راحت بريطانيا تظهر استعدادها لتبني تحقيق الحلم اليهودي، حيث رأت أن زرع هذا العنصر البشري في فلسطين يتوافق مع مصالحها في المنطقة العربية ،لاسيما وقد زامن ذلك انطلاق ندوات يهودية في بريطانيا تطلب بالعودة إلى فلسطين ،ومن أبرز الذين نشطوا في هذا الإتجاه اليهودي البريطاني **موسى مونتيفيور** الميليونير الذي حرص على خدمة اليهود في أنحاء العالم ،وسعى مع الساسة البريطانيين لإقامة دولة يهودية في فلسطين منذ أوائل القرن 19 م[3]، وواصل نشاطه في عهد محمد علي على بلاد الشام ،وقام بجهود كبيرة من أجل إنجاح المستوطنات الأولى التي أقامها اليهود في فلسطين، وبهذا يكون موسى قد دعم الصهيونية والهجرة إلى فلسطين بأموال كبيرة جدا، ساعدت على إنجاح تلك المستوطنات.

ولما كانت بريطانيا أول دولة قامت بافتتاح قنصلية لها في القدس في 1838م، فقد أوعز اللورد بالماريستون[4]–وزير الخارجية البريطاني_ إلى قنصل بلاده في القدس بتقديم العون والحماية لليهود في فلسطين على مختلف أجناسهم، فقد كان الدعم الأول هي مشاريع زراعية أقيمت لخدمة اليهود في

(1) إبراهيم بك حليم.مصدر سابق.ص 210

(2)حبيب قهوجي،مرجع سابق،ص36.

(3)حسن حلاق، مرجع سابق، ص ص 52 53.

(4) سياسي إنجليزي شهير أصبح وزيرا للخارجية البريطانية في عام 1830م، اشتهر بمقاومته لمحمد على وبالتالي كان سببا في إخفاق مشروع محمد علي. – محمد فريد باي المحامي، مصدر سابق، ص 459.

فلسطين برعاية القنصل البريطاني، وهي: "جمعية تشجيع العمل الزراعي اليهودي في الأرض المقدسة"، وكذلك جمعية أخرى إسمها "المزرعة الصناعية لتوظيف يهود القدس"[1].

وفي منتصف ق 19 ازدادت حدة التنافس والصراع على منطقة الشرق الأوسط بسبب فتح قناة السويس عام 1869م، إذ أصبحت هذه القناة أقصر الطرق المائية التي تصل بين هذه الدول، وبين مستعمراتها فيما وراء البحار، وكانت جميع هذه الدول تطمح إلى السيطرة عليها، إلا أن بريطانيا كانت الأكثر حرصا على ذلك، وسعت إلى الإستلاء عليها بأي وسيلة كانت[2].

وكانت الفرصة مواتية حينما تعرضت الحكومة المصرية لضائقة مالية ،جراء تراكم الديون عليها بين كثرة القروض التي اقترضها الخديوي إسماعيل[3] من الدول الأوروبية، وعجز عن تسديده، ولم تقبل هذه الدول منحه قروض جديدة هذا ما أدى إلى عرض أسهم مصر في شركة قناة للبيع في عام 1875م وكانت هذه فرصة بريطانيا الذهبية، إلا أن رئيس الوزراء البريطاني اليهودي **ديزرايلي** واجهته عقبة توفير المال لهذه الأسهم "أربع ملايين جنيه إسترليني"، هنا قام البارون روتشلد اليهودي الإنجليزي بتمويل هذه الصفقة، هنا طوق اليهود عناق الإنجليز بجميل لا يمكن أن ينسوه وقد خطوا خطوة واسعة في طريق تحقيق أحلامهم الصهيونية.[4]ومن هنا اتخذت بريطانيا الديون ذريعة للتدخل في شؤون مصر الداخلية لأن غايتها كانت احتلال مصر، وانتهى باحتلال مصر في 1882م، هنا حقق الإنجليز كسبا استعماريا ولليهود في هذا الإحتلال صدى كبير حيث أكدت الأحداث اللاحقة أن

---

(1)رفيق النتشة، الإستعمار وفلسطين، ص 123.

(2) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 126.

(3)الخديوي إسماعيل هو الإبن الأكبر لإبراهيم باشا تلقى تعليمه في فرنسا، وخلف عمه سعيد باشا في حكم مصر ما بين 1863 و 1889م، عزله السلطان عبد الحميد الثاني في 1879 ، ذهب إلى إيطاليا وأمضى فيها عدة سنوات ليتم حياته في إستنبول. – الموسوعة العربية المسيرة، ج 1، ص 159.

(4) بنيامين دزرائيلي: سياسي بريطاني، ينتمي إلى أسرة يهودية بريطانية ذات أصول إيطالية، دخل مجال السياسة عام 1837م، حيث انتخب عضوا في البرلمان عن حزب المحافظين، تقلد منصب رئيس الوزراء مرتين 1868 – 1880م، لعب دور هام في ترسخ سياسة بريطانيا الإستعمارية في الشرق الأوسط، عرف بتباهيه بيهوديته وتأليفه العديد من الروايات والكتب تتخللها أفكار صهيونية ومشروعها في فلسطين منها رواية الحروب الصليبية الجديدة. – عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 62 وما بعدها.

سقوط مصر في أيدي الإنجليز قد أنعش المطامع اليهودية في فلسطين فالذي سيحصلون عليه من الإنجليز لن يستطيعوا الحصول عليه من العثمانيين[1].

وبالفعل تم لليهود ما كانوا يصبون إليه، حيث في سنة 1826 تم إنشاء جمعية الشركة الإنجليزية الفرنسية والتي هي أحد فروع الجمعية الصهيونية[2]، كان من آثار هذه الجمعية (الشركة الإنجليزية الفرنسية) هو شراء الأراضي في جهات الحولة، طبريا، يافا، حيفا، وغيرها حيث استوطنها اليهود.

وتأسس في نفس العام أيضا بنك آنجلو – فلسطين في لندن وكان أول فرع له في القدس، وفي عام 1903م امتدت فروع هذا البنك إلى مدن فلسطينية أخرى، وكان دوره مد المستعمرات والشركات والمؤسسات الصهيونية بالأموال والقروض، وفي عام 1910م تأسس الصندوق القومي اليهودي الذي يتكون رأسماله من التبرعات.[3]

ج) المؤسسات الإقتصادية التي أنشأتها المنظمة الصهيونية بدعم من الدول الأوروبية:

البنك الإستيطاني اليهودي: بمؤسساته المتفرعة، وهو شركة مسجلة في لندن سنة 1899م كجهاز مالي للمنظمة الصهيونية برأسمال قدره 2 مليون جنيه إسترليني من أجل تطوير فلسطين والبلاد المجاورة لها صناعيا وتجاريا.

بنك آنجلو – فلسطين: وفروعه في يافا، القدس، حيفا، طبريا، غزة، بيروت، الخليل وصفد، وهو شركة مسجلة في لندن برأسمال قدره 100 ألف جنيه، تأسس عام 1903 كشركة متفرعة من تروست trustلمنح قروض صناعية وتجارية.

الصندوق القومي اليهودي: المسجل كشركة إنجليزية سنة 1902 رأسماله 300أبف جنيه إسترليني، هدفه الرئيسي جمع الأموال بشتى السبل للحصول على أرض في فلسطين للشعب اليهودي.

---

(1) إسماعيل سرهنك، مصدر سابق، ج 2، ص 339 وما بعدها.

(2) كان لهذه الجمعية العديد من الصحف في كل من إنجلترا، ألمانيا، روسيا ومن أشهر رؤساء هذه الجمعيات تيودور هيرتزل في فيينا وفي فرنسا مامور وكذلك في أمريكا وروسيا. – هدى درويش، مرجع سابق؛ ص 324.

(3) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج 2، ص 993.

شركة تطوير الأراضي: تأسست في 1907م، وسجلت في إنجلترا سنة 1909م برأسمال قدره 17500جنيه إسترليني خطتها تتركز في الحصول على الأراضي للصندوق القومي اليهودي.[1]

وبهذا يمكن القول أن الدولة العثمانية قاومت محاولات الصهيونية بكل الوسائل إلا أنها لم تنجح أمام الضغط الأوروبي الذي ارتبطت مصالحه مع مصالح الصهيونية.

2)الدعم السياسي الأوروبي للحركة الصهيونية:

توالت الأعمال والمؤتمرات السياسية المدعومة من قبل الدول الأوروبية القوية في تلك الفترة وهذا بدون شك من أجل مصالحها الإستعمارية.

أ) المؤتمرات الأوروبية الداعمة للحركة الصهيونية:

كانت الدول الأوروبية ترحب بعقد المؤتمرات الصهيونية على أراضيها، والدليل على ذلك أنه في كل مرة يعقد مؤتمر صهيوني في عاصمة من العواصم الأوروبية.حيث عقد في أوت 1898م المؤتمر الصهيوني الثاني في فيينا العاصمة النمساوية، وقد كان أكثر عددا وتنظيما من المؤتمر الأول، حيث بلغ عدد أعضاءه 400 عضو اشترك فيه 500 عضو من اليهود الإنجليز، كان من أهم مقرراته:

السعي لدى الدولة العثمانية لتحقيق المشروع الصهيوني،وكذ إنشاء البنك اليهودي الإستعماري ،وتشجيع تعلم اللغة العبرية؛وإطلاق يد هرتزل للتفاهم مع الدول الأوروبية لتحقيق الهدف اليهودي.[2]

في عام 1900م عقد المؤتمر الصهيوني الرابع في بريطانيا ،من أجل الحصول على تأييد منها على المشروع الصهيوني، وذكر هرتزل أن الرجال الإنجليز كانوا أقرب الرجال لفهم مبادئ الصهيونية، وقد أعلن في افتتاح المؤتمر: " إنجلترا الدولة العظمى الحرة، والتي تطل بأراضيها وممتلكاتها على جميع بحار العالم، هي الدولة التي تفهم حركتنا وجهودنا "[3].

---

(1)هدى درويش، مرجع سابق، ص 359 وما بعدها.

(2) هدى درويش، مرجع سابق، ص 333.

(3) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص 167 وما بعدها.

وانتهت مقررات المؤتمر إلى تكثيف الجهود من أجل تحقيق مقررات المؤتمرات السابقة، وأعلنت بريطانيا تأييدها لمشروع الصهيوني، وانعقد المؤتمر الثامن في لاهاي في هولندا عام 1907م برئاسة ماكس نوردوا الذي خلف تيودور هرتزل بعد موته. ومن أهم مقرراته توطيد الإستعمار في المناطق التي تسيطر عليها الإمبراطوريات مثل:توطيد سيطرة بريطانيا على إفريقيا والهند والشرق الأقصى؛وتوطيد سيطرة إيطاليا على ليبيا.وكذا توطيد سيطرة إسبانيا في المغرب، وجزر المحيط الأطلسي، وهذا كله من أجل القضاء على نفوذ الدولة العثمانية[1].وقد أعرب المؤتمر على أن الخطر الكبير على الدول الإستعمارية هو المناطق العربية التي تقع تحت نفوذ الدولة العثمانية، وبهذا رأوا ضرورة فصل الجزء الإفريقي للمنطقة العربية عن جزئها الأسيوي، وكذا ضرورة إقامة ما يعرف بالدولة العازلة، والمعنى من هذا إقامة الدولة اليهودية.

كان هذا المؤتمر بمثابة الضوء الأخضر للسياسة البريطانية والحركة الصهيونية في انتزاع فلسطين عن سائر الوطن العربي لإيجاد نواة إستعمارية تؤمن استمرارية النفوذ الإستعماري في المنطقة، ورأى أن الضمانة الأكيدة لذلك هي ضرورة إيجاد الظروف المواتية من أجل تقسيم وتفكيك الشعب العربي، ولا يمكن ذلك إلا بإقامة دولة عنصرية غربية في المنطقة وهذا كله بعد تصفية الدولة العثمانية[2].

مؤتمر كامبل بانرمان الإستعماري 1907م:

كان هذا المؤتمر موجه لتفكيك الدولة العثمانية،ومحاولة لإيجاد وطن يحمي اليهود،وقد لعبت بريطانيا دورا كبيرا لانعقاد المؤتمر وتحضير أوراقه،وتشكيل لجنة عليا من كبار العلماء (الإقتصاد، القانون، السياسة، الجغرافيا، البترول، الزراعة، التاريخ وشؤون الإستعمار)، ودعمت فرنسا، بلجيكا، هولندا،البرتغال، إيطاليا وكذا إسبانيا، هذا المؤتمر وهكذا تشكلت جبهة إستعمارية موحدة لضرب الدولة العثمانية و تحقيق المشروع الصهيوني[3].

(1)هدى درويش,مرجع سابق,ص 334.

(2) حسن علي حلاق، مرجع سابق، ص ص 223 224. –هدى درويش، مرجع سابق، ص 332.

(3) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 134.

ترأس اللجنة رئيس الوزراء البريطاني هنري كامبل بانرم[1]، واجتمعت هذه اللجنة في لندن عام 1907م[2] وافتتح كامبل الاجتماع بخطاب حدد فيه مهمته الدول الأوربية،وجاء في هذا الخطاب:"...هل يمكن الحصول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الإستعمار الأوروبي وانهياره، أو تؤخر من مصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة؟، وبعد أن أصبحت أوروبا الآن قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معالمها، بينما لا يزال العالم الآخر في سباته يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية[3].

وقد اشتمل هذا التقرير على استعراض الأخطار المحدقة بالاستعمار، والأخطار التي ستلحق بالدول الإستعمارية إذا ما فلتت المستعمرات من قبضتها[4]، وانتهى التقرير إلى نتيجة أجمع عليها المؤتمرون أن أكبر ما يهدد الدول الإستعمارية هي منطقة البحر الأبيض المتوسط باعتبار هذا البحر همزة الوصل بين الشرق والغرب، ومما زاد من أهمية وجوده هي قناة السويس شريان الحياة الأوروبية[5]، كما أشار التقرير إلى أن الخطر يتركز في شواطئ البحر الشرقية والجنوبية، حيث تسكن الشعوب العربية التي تتوفر لها وحدة الدين واللغة والتاريخ والثقافة، وتتوفر فيها مقومات النهوض والتحرر لنزعتها التحررية وثرواتها الطبيعية والبشرية المتزايدة ،لاسيما بعد أن ظهرت بين شعوبها اليقظة السياسية والوعي القومي ضد التدخل الأجنبي[6]، ثم راح التقرير يطرح التساؤلات التالية:

- ماذا سيحدث لو انتشر التعليم وعمت الثقافة بين شعوب هذه المنطقة؟؛
- ماذا سوف يحدث لو دخلت التكنولوجيا الحديثة لإلى هذه المنطقة؟؛

---

(1) هو السير هنري كامبل بانرمان سياسي بريطاني تزعم حزب الأحرار في فترة عصيبة من تاريخ إنجلترا، أصبح رئيسا للوزارة البريطانية من 1905 – 1908 ومات بعد استقالته ب 17 يوما. – أحمد سوسة، مرجع سابق، ص 204.

(2) حسن صبري الخولي، **سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين**، ج 1، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1983م، ص 113.

(3) محمد كمال، **السياسة الدولية وفلسطين**، ط 1، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م، ص 149 وما بعدها.

(4)حسن حلاق، مرجع سابق، ص 288.

(5) تم افتتاح قناة السويس في عام 1869 في عهد السلطان عبد العزيز. – عبد العزيز الشناوي، **قناة السويس والتيارات السياسية التي أحاطت بإنشائها**، ج 1، ط 2، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،، 1981م، ص 15 وما بعدها.

(6) رفيق النتشة، **الإستعمار وفلسطين**، مرجع سابق، ص 193 وما بعدها.

- ماذا لو توحدت فعلا شعوب هذه المنطقة، وسعت تجاه تحقيق أهدافها؟.

ويجيب التقرير على هذا السؤال فيقول:

" عند ذاك ستحل الضربة القاضية حتما بالإمبراطوريات الإستعمارية، وعندها ستتبخر أحلام الإستعمار بالخلود، فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت إمبراطوريات الرومان والإغريق"[1].

إلا أن الإستعمار وجد حلولا لتفادي هذه الضربة وكانت الحلول على النحو التالي:

على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة... وتأخرها وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل...

ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي في هذه المنطقة على الجزء الأسيوي، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب يحتل الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معا بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للإستعمار وعدوة لسكان المنطقة[2].

أما بالنسبة للدولة العثمانية فقد تضمنت هذه التوصيات بطريقة غير مباشرة حتمية تصفية الدولة العثمانية لأنه لن يتيسر لهم إقامة الدولة اليهودية، أو ما عرف في المؤتمر بالحاجز البشري الغريب الموالي للإستعمار في حال استمرار وجودها.

إذن إن فكرة استغلال الدول الإستعمارية الأوروبية لأحلام اليهود في العودة إلى فلسطين والتعاون معهم من أجل تحقيق حلمهم ،كان الهدف الحقيقي من ورائه ،هو تفكيك وإسقاط الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها، وبالتالي تحقيق مقررات بنرمان، حيث كان هذا المؤتمر نمطيا سياسيا _دعما سياسيا_ حتميا رأت الدول الإستعمارية أنه لا بد منه من أجل تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى ومصالح الصهيونية بالدرجة الثانية، وبالتالي فقد أخذ العون الذي تقدمه تلك الدول للصهيونية طابع العمل الجاد الذي تمليه المصالح المصيرية، ولعل من أهم الأسباب التي شجعت الدول

(1) أحمد سوسة، **أبحاث في اليهودية والصهيونية**، ص 158.

(2) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص 159.

الإستعمارية وبريطانيا على وجه الخصوص على تبني هذه السياسة أنها وجدت تجاوبا عند اليهود، وقد يكون بعض الساسة اليهود هم الأسبق في عرض خدماتهم على القوى الإستعمارية[1].

وتدل الحوادث التي وقعت بعد ظهور هذا التقرير دلالة واضحة على أن خبراء السياسة البريطانية ومعهم خبراء الدول ذات المصالح المشتركة أخذوا يخططون بدقة متناهية ويعدون الوسائل التي تأمل تنفيذ وتحقيق مقررات المؤتمر بإقامة الحاجز البشري من عنصر غريب في المنطقة العربية على شكل قوة صديقة للإستعمار وعدوة لسكان هذه المنطقة،وكان لهم ذلك عن طريق تنفيذ وعد بيلفور وغرس إسرائيل في قلب المنطقة[2]. وهنا التقت الصهيونية بمخطط الإستعمار الجديد فمنذ سنة 1907م سار الإستعمار البريطاني والصهيونية العالمية جنبا إلى جنب في سبيل القضاء على الدولة العثمانية وخاصة فلسطين وإقامة دولة إسرائيل، فسارعت بريطانيا وهي سيدة الإستعمار حينذاك إلى الأخذ بيد الصهيونية واتفقت مع زعمائها على تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين.

أما فيما يخص إبقاء الشعب على ما هو عليه من تأخر وجهل فقد قام الإستعمار البريطاني بسن تشريعات العشائر في الدول العربية،عندما كانت تحت الإحتلال أو الإنتداب ،خدمة لأغراضه في المنطقة، وهذه التشريعات كانت تستهدف المحافظة على القيم والتقاليد القديمة التي تحجرت وراء قرون طويلة من التخلف، وإظهار الكيانات القبلية ،وتنمية دور القبائل ،وزيادة وزنها الاجتماعي، ومنع اندماجها في المجتمع العربي ليبقى في حالة من التفكك والانقسام، إلا أن إدراك زعماء الإستعمار وزعيم الصهيونية (هرتزل) علة استحالة تنفيذ مخططاتهم الإستعمارية مع استمرار بقاء السلطة في الدولة العثمانية _في يد الحكام العثمانيين خاصة السلطان عبد الحميد الثاني_ لأنه سيضل عقبة في طريقهم، لذا فقد اتفق الحليفان على تعطيل الحكام العثمانيين ونقل السلطة منهم إلى أيدي فئة تكون تحت وصايتهم ومثل آلة في أيديهم، وذلك تمهيدا للقضاء عليها نهائيا وتحقيق مئاربهم[3].

(1) رفيق النتشة ، مرجع سابق، ص 287.

(2) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص 159.

(3) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص 160 161.

كما أنهم كانوا يدركون أن التهجم على الدولة العثمانية مباشرة سوف يثير غضب المسلمين في كافة بقاع الأرض لذا فقد اتجهوا للقضاء عليها بخطى مدروسة وسياسة تدريجية جندوا لها كل طاقاتهم وإمكاناتهم، وفتحوا العديد من الجبهات داخل الدولة العثمانية وخارجها[1].

وقد كانت سياسة تحريض الأقليات غير المسلمة التي تعيش في كنف الدولة العثمانية على الثورة والمطالبة بالانفصال والحكم الذاتي من أخطر خيوط المؤامرة التي حاكتها القوى الإستعمارية الغربية وحليفتها الصهيونية[2]، فقد دأبوا على تدبير الحوادث والمؤامرات التي هيأت لهم فرصة التدخل في شؤون الدولة العثمانية بحجة حماية المسيحيين وإصلاح أحوالهم.[3].

ولعلنا نجد في أحداث **فتنة الأرمن** ،التي أضرمت نارها في مطلع القرن العشرين للميلاد[4]،حيث وقع هذا الشعب في شباك مخططات الدول الإستعمارية ،التي أرادت أن تتخذه أداة لتحقيق أطماعها المختلفة، وذلك حين قامت تلك الدول بتحريض هذا الشعب على الثورة ضد الحكم العثماني والمطالبة بالإستقلال عن طريق جواسيسها الذين تسللوا بين صفوفهم ونجحوا في بث روح الثورة في الشباب الأرميني، وهذا بالتعاون مع الفرنسيين، الإنجليز ويهود الدونمة، حيث أدت هذه الفتنة إلى قيام العديد من المذابح في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية[5].قال السلطان عبد الحميد الثاني في هذه المسألة: " إنجلترا بذلت أقصى ما في وسعها لإثارة المسألة الأرمينية... كانت المسألة الأرمينية مقلقة للدولة العثمانية لأنها فتحت الباب للدول الكبرى للتدخل في شؤون بلادنا حتى السنوات الأخيرة."[6].

---

(1) إسماعيل الكيلاني، **فصل الدين عن الدولة**، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1980، ص ص 188 189.

(2) مصطفى طوران، **أسرار الإنقلاب العثماني**، تعريب: كمال خوجة، ط 4، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 45 وما بعدها.

(3) أسماعيل سرهنك، مصدر سابق، ج 2، ص 359.

(4) يلماز أوزتونا، مرجع سابق، ج 2، ص 129.

محمود ثابت الشاذلي، **المسألة الشرقية**، ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1989، ص 139.

(5)Donald quataert**. The ottoman empire. 1700-1922**. Second edition. New approaches to european history. Cambrridge2005. P 151.

(6) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص ص 123 124.

وكذلك عملت الدول الإستعمارية بمساعدة الصهاينة على **إثارة العرب** بإحياء ما يسمى بالقومية العربية، ولم تتوقف مساعي أعداء الإسلام عند هذا الحد حيث نجدهم يعمقون الفجوة بين العرب والأتراك[1]، حيث حدثت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين 1916م، وكان نتاج هذا المخطط الإستعماري الصهيوني أثر كبير في طريق وحدة الدولة العثمانية.

ومنه نقول أن الدول الإستعمارية دعمت الصهيونية ليس حبا فيها وإنما سعيا منها لتحقيق مصالحها الخاصة والعكس صحيح.

3)الدعم الإعلامي الأوروبي للحركة الصهونية:

لم يتوقف الدعم المقدم من الدول الإستعمارية لصالح الصهاينة في حدود المال والسياسة بل راح إلى جانب آخر رأت فيه النجاعة لإسقاط الدولة العثمانية، وعزل السلطان وكذا تحقيق هدف الصهيونية والمتمثل في إنشاء وطن قومي في فلسطين،فكان سبيلهم في ذلك هو الصحافة للعمل على تشويه سمعة السلطان ومن ثم عزله ،وخلو الجو لهم في سلطان آخر يجدون فيه معونة على عكس عبد الحميد.

أ)الصحافة تهاجم السلطان عبد الحميد الثاني:

لقد كان للصحافة دور كبير في مهاجمة السلطان عبد الحميد الثاني، وفي هذا الصدد يقول السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته " كانت الصحف الأوروبية تكتب بشكل دائم، وتهاجمني وتلقبني بالسلطان الأحمر، وكانت تحرض الرأي العام العالمي ضدي"[2].

إذن كانت الدعاية الإعلامية التي استعملها الصهاينة، وحلفاؤهم للنيل من الدولة العثمانية، والذي ساعدهم على ذلك سيطرتهم على العديد من الصحف ودور النشر في داخل الدولة العثمانية وخارجها.حيث جاء في البروتوكول السابع: " لكي نعزز خطتنا العالمية الواسعة التي تقترب من نهايتها المشتهاة يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأمميين بما يقال له الآراء العامة التي دبرناها نحن في

---

(1) للتوسع أكثر في هذه القضية أنظر جورج أنتونيوس، مصدر سابق، ص 102 وما بعدها.

(2) هدى درويش، مرجع سابق، ج 1، ص 400.

الحقيقة من قبل متوسلين بأعظم القوى جميعا وهي الصحافة وإنها جميعا لفي أيدينا إلا قليل لا نفوذ له ولا قوة يعتد بها".[1]

ويمكن إثبات تطبيق هذه الوسيلة الصهيونية الأوروبية للنيل من الدولة العثمانية ،من خلال هذه الكلمات التي سجلها السلطان عبد الحميد في مذكراته والتي توضح أثر الصحافة الأوروبية التي يسيطر عليها اليهود من أجل تصعيد المشاكل السياسية الداخلية في الدولة العثمانية، واستغلالها لإثارة الرأي العام ضده يقول السلطان: " ... الصحف الأوروبية كانت تضع بصمتها على هذه المسألة أيضا... كانت تكتب عنها بشكل دائم (يعني المسألة الأرمينية)...، وهكذا أصبحت المسألة الأرمينية من المسائل التي تشغل الرأي العام العالمي "[2].

لقد أصبحت سيطرة الصهيونية على الصحافة العالمية من الأمور المسلم بها، ففي بريطانيا سيطر اليهود على أشهر الصحف، وكذلك الأمر بالنسبة للصحف الفرنسية والأمريكية[3]، هذا إضافة إلى سيطرتها على عدد كبير من دور النشر، وكان السلطان عبد الحميد صاحب النصيب الأوفر من تلك الدعاية الإعلامية لأنه وقف صامدا أمام أطماع اليهود وأطماع الدول الإستعمارية إسقاط الدولة العثمانية وإقامة دولة يهودية في فلسطين[4].

فقد تعرض السلطان عبد الحميد إلى حملة إعلامية شرسة وواسعة النطاق استهدفت شخصه وحكمه، لم تترك عيبا إلا وألصقته به حتى أصبح رمزا للظلم، الجهل، إراقة الدماء والإنغماس في الملذات، أما حكمه فكان عنوانا للاستبداد والتخلف والرجعية.[5]

ولمهارة الدعاية الإعلامية اليهودية والأوروبية في قلب الحقائق وإبراز المساوئ وطمس للمحاسن، فقد نجحت في ترويج تلك الإشاعات حتى أصبحت حقائق مسلم بها[6].وكل هذا من أجل الحط

(1) محمد خليفة التونسي، مرجع سابق، ص ص 128 129.

(2) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص 124.

(3) فؤاد الرفاعي، **النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية**، ط 1، دار صلاح الدين، الكويت، 1987م، ص 14 وما بعدها.

(4) محمد خليفة التونسي، مرجع سابق، ص 130.

(5) إسماعيل سرهنك، ج 2، مصدر سابق، ص 7.

(6) محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص 773.

من قدره و تهيئة الرأي العام لتقبل فكرة عزله والتخلص من الحكام العثمانيين ، ثمّ الانتقال إلى خطوة القضاء على الدولة العثمانية[1].

كان هذا جزاء من أحسن لليهود ورحب بهم عندما خرجوا مضطهدين جراء محاكم التفتيش، وقد بين سبحانه وتعالى عداء هؤلاء القوم للإسلام والمسلمين في قوله." يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون "[2].

ومن أبرز الإدعاءات التي أثيرت حول شخصية السلطان عبد الحميد والتي لم تستند لا إلى بينة ولا إلى وقائع نذكر:

اتهامه بالإستبداد: إذ أن التاريخ يثبت عكس ذلك وها للظروف التي اعتلى فيها السلطان عبد الحميد العرش حيث كانت الدولة تمر بأصعب مراحلها، إضافة إلى فساد الجهاز الإداري الذي كان يسيطر عليه يهود الدونمة وأيضا الأزمة الإقتصادية الخانقة جراء الديون المتراكمة وغيرها من المشاكل دون أن ننسى الدول المتربصة بالدولة لإسقاطها وتقسيم ممتلكاتها[3].

ورغم هذا فإن السلطان لم ييأس وواجه هذه المشاكل حيث قضى على المشاكل الداخلية والتمردات وسدد الديون واهتم بنشر الثقافة والعلم بين أبناء شعبه، والأهم من هذا كله أنه تنبه للمخطط الصهيوني القاضي بالاستيلاء على فلسطين[4].

اتهامه بالميل إلى سفك الدماء وتلقيبه بالسلطان الأحمر:لقد روجت وسائل الإعلام الصهيونية بدعم من الإنجليز، فرنسا وأمريكا هذه التهمة، ويقول السلطان عبد الحميد في هذا الشأن:" أحضر لي مرافقي أول أمس كتابا صغيرا باللغة الفرنسية عنوانه (إلى ذكرى بيير كيار) وهو كتاب يحتوي على هجاء ومدح، الممدوح هو (بيير كيار) والمهجو هو (أنا) أعرف بيير كيار اسما... كان مدرس الفساد في المدارس الأرمينية... شيء غريب بيير كيار هو الذي أطلق علي لقب الحيوان الأحمر كنت أعرف

(1) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 152.

(2) سورة آل عمران، الآية 118.

(3) مذكرات الأميرة عائشة، مصدر سابق، ص 13.

(4) يلماز أوزتونا، ج 2، مرجع سابق، ص 185 وما بعدها.

الكلمة ولكني كنت أجهل قائلها، وبقدر ما أحمل من أوسمة أجنبية بقدر ما سميت بأسماء أطلقت على من هذه البلاد الأجنبية"[1]، وقد أطلق على السلطان هذا اللقب في فترة فتنة الأرمن. وقد كتب عنه في كتاب " الأهوال البلغارية والمسألة الشرقية " الذي نشره جلادستون زعيم حزب الأحرار في إنجلترا عام 1876م[2] ،والذي اتخذ المذابح التي تعرض لها المسيحيون البلغار نتيجة للثورة البلغارية ذريعة لشن حملة إعلامية شرسة للتشهير بالحكم العثماني وبالسلطان من خلال نظرة متحيزة لتلك الثورة، وسبب هذا هو أن جلادستون كان مسيحيا وكان مدعوما من وزير المستعمرات البريطانية[3]. من هنا أشيع على السلطان عبد الحميد أنه سفاح يحب إراقة الدماء فكانت حجة لإقناع الرأي العام، وأكدوا ذلك بالقضية الأرمينية وما نجم عنها من مذابح، والتي تصدى السلطان إلى فتنتها بكل حزم وشدة وصرامة.

اتهامه بالرجعية والجمود: أيضا من جملة الإتهامات التي وجهت للسلطان عبد الحميد من خلال الحملة الشرسة التي شنها الأعلام الصهيوني ضده الرجعية، والتخلف والإنغلاق، وهذا كان عكس الحقيقة لأن السلطان عبد الحميد لم يكن أبدا ضد التقدم والعلم، ونما كان شأنه شأن جميع الحكام المسلمين طيلة عصور الخلافة الإسلامية، ولم يمتنع السلطان أبدا عن الأخذ من الحضارة الغربية فيما يخص التنظيمات الإدارية والمادية[4].وهذا ما ذكره السلطان في مذكراته: " ليس من الصواب القول أني ضد كل تجديد يأتي من أوروبا... يجب أن نضع نصب أعيننا ما تفضل الله به علينا... ليس الإسلام ضد التقدم..."[5]، لقد اتهم السلطان بالجهل ومحاربة العقل والعلم، وقد نشرت هذه الاتهامات في عديد الصحف الداخلية والخارجية.

ب)نجاح الدعاية الإعلامية:

وبعد عرض هذه الاتهامات نقر أن الدعاية الإعلامية الصهيونية المدعومة من الأوروبيين كانت ناجحة إلى حد كبير في قلب الحقائق وإقناع الناس بتلك الافتراءات، ولشدة تكرارها كانت حقائق

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص 120 121.

(2) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 158.

(3) انظر الفصل التمهيدي حول قضية البلغار.

(4) إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص 81.

(5) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص 28.

مسلم بها،في هذا الصدد يقول أحد المؤرخين الأتراك: " عندما خاب هرتزل في مسعاه اشتد العداء ضد السلطان، وهذا ما كان يتوقعه عبد الحميد لأن اليهود قوم يتقنون العمل المنظم وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم... وكانت صحافة أوروبا في قبضتهم، فكان في مقدورهم إطلاق العواطف التي يريدونها إلى الرأي العام العالمي متى شاءوا "[(1)].

لا يمكن تجاهل دور حلفاء الصهيونية واليهود وهم الأوروبيون، فقد كانت سفاراتهم في داخل الدولة المعبر الآمن لدخول تلك الصحف والمنشورات التي تحمل في طياتها تلك الأباطيل[(2)]، والغريب في الأمر هو أن بعض المؤرخين المسلمين وأبناء البلد قد اتبعوا الإشاعات وما تقوله هذه الصحف وكأنها صحيحة، ونتأسف عندما نرى أجيالنا حتى يومنا هذا ما تزال في مدارسها تتلقى هذه المعلومات الخاطئة عن الدولة العثمانية عامة والسلطان عبد الحميد خاصة، قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين "[(3)].

قال أحد الشعراء في هذا الصدد:

عندما يذكر التاريخ إسمك

يكون الحق في جانبك ومعك أيها السلطان العظيم

كنا نحن الذين افترينا دون حياء

على أعظم سياسيي العصر.

كما عبرت الصحف اليهودية عن سعادتها بإزاحة السلطان عبد الحميد، وقد أشار إلى هذا السفير البريطاني لورثر في رسالته إلى وزير خارجية بلاده وذلك في قوله: "...وبعد أن تم خلع السلطان عبد الحميد أخذت الجرائد اليهودية في سلاتيك[4] تزف البشائر بالخلاص من المضطهد الذي

---

(1) أحمد نوري النعيمي، **اليهود في الدولة العثمانية**، مرجع سابق، ص 31.

(2) حسان حلاق، مرجع سابق، ص 294 وما بعدها.

(3) سورة الحجرات، الآية 6.

(4) سالونيك أو سلانيك مدينة قديمة رومانية قديمة تقع جنوب بلاد مقدونيا على بحر الأرخبيل كانت تسمى ترسا، ثم أطلق عليها إسم تاسالونيك، ثم حرفة إلى سالونيك أو سلانيك. –فريد باي المحامي، مصدر سابق، ص133.

رفض مرتين أن يستجيب لطلب الزعيم الصهيوني هرتزل والذي وضع جواز السفر الأحمر الذي يقابل عندنا قانون الأجانب.

ومن أهم ما يكشف عنه تاريخ السلطان عبد الحميد ،هو ذلك الفهم الوافر والعميق للمؤامرة اليهودية الصهيونية الأوروبية الممتدة من الماسونية إلى الدونمة ،وكذا جماعة الإتحاد والترقي والدول الإستعمارية بكل أبعادها وأهدافها، هذه التي كانت خافية عن ظاهر المواقف السياسية في البلاد العربية الإسلامية في ذلك الوقت ،وكانت غامضة عن الرأي العام في وقتها بينما كانت واضحة ومفهومة لدى السلطان. حيث كانت تصرفاته استجابة لهذه الخبايا التي كانت تدبر ولم تكن مكشوفة إلا للقلة، وكل ما نسب إلى السلطان من اتهام بالرجعية أو الجمود أو العنف إنما كان ينطلق من فهمه لأبعاد المؤامرة الصهيونية الأوروبية لإسقاط الدولة العثمانية وعزله، وإفساح المجال أمام تحقيق مؤامرتهم بعد أن تبين لهم رفضه الصريح لعروضهم[1].

وفي الأخير نقول أنه مهما أشيع عن السلطان عبد الحميد الثاني من أكاذيب وافتراءات يبقى العالم الإسلامي يعترف ويشكر له ما قام به من أجل وحدة العرب، المسلمين، أراضيهم، تاريخهم، حضارتهم وثقافتهم، ويبقى التاريخ يخلد له ذلك حتى يومنا هذا.

(1) أنور الجندي، مرجع سابق، ص 96 وما بعدها.

المبحث الثالث: تنفيذ المخططات الصهيونية:

مع بداية القرن التاسع عشر كانت الصهيونية قد حققت أكبر خطوة تجاه تحقيق مشروعها المتمثل في وطن يجمع كل الطوائف اليهودية في العالم، وقد تمّ ذلك من خلال عقد مؤتمر كامبل بانرمان الذي تطرقنا أليه سابقا، وقد بقي أمامها تنفيذ ما جاء به المؤتمر على أرض الواقع، فكان عليها أن تزيح أكبر عقبة وهي السلطان عبد الحميد الثاني.

1) دور المحافل الماسونية وجمعية الإتحاد والترقي في تحقيق مصالح الصهيونية:

لقد كانت الجمعيات والمنظمات السرية من بين الأسلحة التي استخدمتها الصهيونية والدول الأوروبية لإسقاط الدولة العثمانية، وهذا ما يعكس طبيعة اليهود الذين يفضلون اللعب في السرية والظلام، ولهذا فقد سعى اليهود لإنشاء هذه الجمعيات ودعمها، أو يجدون جمعية قامت لغرض آخر فيندسون فيه ويوجهونها الوجهة التي يريدون.

أ) المحافل الماسونية:

والماسونية واحدة من المنظمات السرية الهدامة والتي بذلت ومازالت تبذل جهدا كبرا لتحقيق أهداف اليهودية العالمية ،والتي كان لها دور فاعل في تنفيذ المخطط الصهيوني ومازالت تستكمل هذا الدور بكل جدارة واقتدار. وإطلاق مسمى الماسونية مشتق من (فري ميسون) (freemoson)، بالإنجليزية وكلمة فري تعني الحرية وميسون تعني البناء فتصبح الدلالة البناء الحر[1]. أما فيما يتعلق بمنشأ الماسونية فمن المؤرخين من يقول :أن ميلادها كان في القرن الثامن عشر للميلاد، ومنهم من يقول :في القرن التاسع عشر، وهناك من يرجعها إلى فترة الحروب الصليبية، وأيضا من يربطها ببناء هيكل سليمان، وحتى من يرجعها إلى زمن الفراعنة[2].

لقد كان للماسونية صلة كبيرة بالصهيونية، وهذا ابتداءً من شعارها المزيف (حرية، مساواة، إخاء)[3]، لذا فقد نصت بروتوكولات حكماء صهيون في بابها التاسع بالمعنى أن شعار الحرية

(1) صابر طعيمة، مرجع سابق، ص 18

(2) محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص 88 وما بعدها.

(3) شاهين مكاريوس، **الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية**، ط 3، دار مارون عيود، بيروت، 1983، ص ص 8 9.

والمساواة والإخاء هي كلمات معبرة عن فكرة، وسوف نقول: حق الحرية وواجب المساواة وفكرة الإخاء، وبهذه الكلمات سوف نمسك الثور من قرنيه، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة. ومنه وحسب شعار الماسونية نعرف أن لها أهداف ظاهرة وهي العدالة والمساواة...، وأهداف باطنية وهي ذاتها أهداف الصهيونية العالمية، وهذا ما يؤكده المحفل الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون في قوله: " إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا..."(1). كذلك ما جاء في المؤتمر الماسوني العالمي المنعقد في باريس عام 1900م: " إن هدف الماسونية هو تكوين جمهورية عالمية "، والمقصود بالجمهورية العالمية هو الدولة اليهودية.إذن من خلال كل هذا يتجلى لنا أن هدف الماسونية هو نفسه هدف الصهيونية.

ولا مجال للشك أن الماسونية لا تعدو أن تكون إحدى المنظمات السرية الهدامة التي أسسها اليهود تواصلا مع تاريخهم الحافل بالمكائد والدسائس، وخادما لمصالح الصهيونية الإستعمارية2، ومنه فلا يستغرب أن يكون للماسونية اليد في تنفيذ المخطط اليهودي الصهيوني الذي استهدف الخلافة الإسلامية ودولتها العثمانية التي حالت بين اليهود وأطماعهم على أراضيها(3).

أما عن زمن دخول الماسونية إلى الدولة العثمانية فقد اختلفت المصادر فمنها من يرجعها إلى عهد السلطان بايزيد الثاني 1481- 1512م، حيث أنشأ يهود سلاتيك في مدينتهم أول معمل ماسوني، ومنهم من يرى أن بداية النشاط الماسوني في الدولة العثمانية يعود إلى عهد السلطان أحمد الثالث 1703 – 1730م حيث أسست أول جمعية ماسونية في عام 1917م في العاصمة إستانبول، وكانت مرتبطة بفرنسا وأغلقت بعد قيام الثورة الفرنسية، وبهذا استطاعت الماسونية إغراء العديد من العثمانيين للدخول في شباك الماسونية، ومن هنا ضاعف الماسونيون جهودهم، وتمكنوا من تأسيس العديد من المعاقل الماسونية في إستانبول، أزمير...، تابعة لفرنسا، إنجلترا، إيطاليا، حيث أصبح في سنة 1882م نحو عشرة آلاف تركي منخرطين في الماسونية من بينهم كبار الموظفين في الدولة(4)، حتى بلغ الأمر بأحد الماسونيين الأتراك من الوصول إلى منصب الصدارة العظمى وهو مدحت باشا(5)،

(1) محمد خليفة التونسي، مرجع سابق، ص 130.

(2) أسعد السحمراني، **الماسونية نشأتها وأهدافها**، ط 3، دار النفائس، بيروت، ص 80.

(3) موفق بن المرجة، مرجع سابق، ص 230.

(4) حسان حلاق، مرجع سابق، ص 290.

(5) تطرقنا إلى تعريفه في الفصل التمهيدي.

والذي كان له دور كبير في خدمة أهداف الماسونية ومن ثم خدمة الصهيونية، وفي هذا يقول السلطان عبد الحميد الثاني: " لم يكتف مدحت باشا بإثارة ما أثاره من مشاكل فهو من ناحية يريد خلق أزمة في الرؤى، ومن ناحية أخرى يريد الزج بالبلاد في أتون الحرب...، وكنت أرى أن الصدر الأعظم يؤيد الإنجليز ويتعاون معهم سواء بدافع ماسونيته أو لدوافع أخرى[1].رغم المناهضة التي قامت بها الدولة العثمانية من أجل التصدي للماسونية، إلا أنها حققت نجاحا ملفتا، وهذا نتيجة الحماية والدعم الذَينِ كانت تتلقاهما من الصهيونية والدول الأوروبية.

أما بالنسبة للحركة الصهيونية فقد تمكنت من تحقيق مشروعها السياسي من خلال المحافل الماسونية ،حيث عملت على توحيد وتنسيق المساعي بين مختلف المحافل وتوجيهها لخدمة المشروع الصهيوني، بالعمل على جذب كبار موظفي الدولة وأصحاب النفوذ في المجتمع من أجل استغلالهم في خدمة أهداف الصهيونية[2]، وقد أشار حكماء صهيون في البروتوكول الخامس عشر إلى هذا الدور:"... إلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفا لأنه ذو روح..."[3].

وقد تركز النشاط الماسوني في ولاية سلانيك لأنها تظم نسبة كبيرة من يهود الدونمة ,الذين طردوا من إسبانيا, إضافة إلى الحماية التي حضيت بها من دول أوروبا، لأن معظم يهود سلاتيك ينتمون إلى جنسيات مختلفة، ولهذا نجد سلاتيك مركزا للنشاط السياسي المناوئ للسلطان عبد الحميد، ومنطقة تجمع القوى الداخلية والخارجية المعارضة[4].

ب)جمعية الإتحاد الترقي:

لقد تمكنت القوى المناوئة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، بتنظيم العديد من الخلايا السرية الثورية التي برزت على ساحة الأحداث، مؤثرة على المحيط السياسي للدولة العثمانية، ومنها :**جمعية**

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص ص 106 107.

(2) أوزخان محمد علي، مرجع سابق، ص 294.

(3) محمد خليفة التونسي، مرجع سابق، ص 156.

(4) محمد كمال الدسوقي، مرجع سابق، ص ص 314 315.

الإتحاد والترقي، التي أسسها **إبراهيم تيمو**[1] ،يرجع بعض المؤرخين تاريخ ظهورها إلى عهد السلطان عبد الحميد ،ولدت في أوكار الماسونية باعتبار مؤسسيها ماسونيين[2]. وهذه الجمعية هي امتداد لجمعية "تركيا الفتاة"، لذلك فإن المؤرخين يطلقون هذا الاسم على بدايات الحركة خاصة عندما كان معظم نشاطها في أوروبا، ولما انتقل نشاطها إلى داخل الدولة العثمانية انظم إليها العسكريون خاصة وصار يطلق عليها اسم الإتحاد والترقي.

في سنة 1889م كون طلبة المدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية في الأستالة منظمة ثورية هدفها الواضح عزل السلطان عبد الحميد، فتوسع نشاطها وزادت تحركاتها إلى أن استطاعت أن تعلن الدستور وتخلع السلطان عبد الحميد، وبهذا تحققت أهدافها وأهداف الصهيونية والماسونية وحتى أهداف الدول الإستعمارية الأوروبية. يقول السلطان عبد الحميد الثاني في هذا الصدد: " لا بد للتاريخ يوما أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم الأتراك الشبان أو تركيا الفتاة وعن ماسونيتهم، استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أنهم كلهم تقريبا من الماسون وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل، ولا بد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات هل كانت إنسانية أم سياسية"[3].

لقد كانت الأدمغة الحقيقية التي لعبت الدور الأكبر في ترسيخ وتقوية هذه الجمعية هي أدمغة يهودية صهيونية، وقد جاءت مساعداتها المالية من الدونمة الأغنياء، ومن يهود سلانيك، ومن الرأسماليين العالميين في فيينا، باريس ولندن[4].

وكان شعار جمعية الإتحاد والترقي وكذا الماسونية[1] هو نفسه شعار الثورة الفرنسية التي كان من وراء قيامها الماسونيون، وبالتالي فقد اجتمعت جهود هذه الجهات الثلاث من أجل خلع السلطان

(1) إبراهيم مراد تيمو ولد في مارس 1865م في بلدة ستروغا قرب حدود يوغسلافيا سابقا مع ألمانيا من أب ألباني، تلقى تعليمه الأول في بلدته ثم انتقل إلى اسطنبول والتحق بالمدرسة الطبية العسكرية في 1882م، هرب إلى رومانيا عام 1895 وأصدر مجلة صدى الملة، ولما أعلن الدستور عام 1908 عاد إلى إستنبول وأسس الحزب العثماني الديمقراطي، مات في رومانيا في أوت 1945م. – سليمان بن صالح الخراشي، **كيف سقطت الدولة العثمانية**، ط 1، دار القاسم للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 2000م، ص 43.

(2) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 212 وما بعدها.

(3) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص 49.

(4) سليمان بن صالح الخراش، مرجع سابق، ص 46.

من خلال ثورة 1908م[2]، وقد بلغ بهم الحقد والشماتة أن جعلوا في مقدمة الوفد الذي كلفوه بتبليغ السلطان قرار عزله الماسوني الصهيوني **إيمانويل قاره صو**[3]، وقاموا بنفيه إلى سلانيك وفرضوا عليه الإقامة في منزل تاجر يهودي وعينوا عليه حارسا ماسونيا[4]، وبهذا نزعت العقبة التي كانت في طريق تحقيق أهداف الماسونيين ، الصهاينة والدول الإستعمارية بعزل السلطان عبد الحميد الثاني، وانتقل زمام الحكم إلى **جمعية الإتحاد والترقي** لتتوالى النكبات على الدولة العثمانية. حيث احتلت الكثير من ولاياتها وفقدت مواقع هامة دون أن يحرك الإتحاديون ساكنا، ليس هذا فقط بل زجت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى لتهزم وتقسم ممتلكاتها بين الحلفاء المنتصرين[5].

وبهذا أسدت جمعية الإتحاد والترقي خدمات جليلة للحركة الصهيونية بإقامة نواة الدولة اليهودية في فلسطين، في حين أن الماسونية كانت قد أثبتت تفوقها في خدمة الصهيونية بزيادة عدد المحافل الماسونية حتى في فلسطين، وخدعت العرب والمسلمين بشعاراتها الزائفة.

2) ضرب الإستراتيجية العسكرية للدولة العثمانية:

لقد اشتد التنافس الإستعماري للسيطرة على البلاد التابعة للدولة العثمانية ،التي كانت محط أنظار تلك الدول لما لها من أهمية اقتصادية واستراتيجية، بينما كانت الدوائر الصهيونية ترى ضرورة وحتمية قيام الصراع بين الدول الإستعمارية القديمة من ناحية وبين الإستعمار الألماني والدولة العثمانية من ناحية أخرى، وذلك لتحقيق أهدافها في فلسطين وتنفيذ مقررات كامبل بانرمان الإستعمارية الرامية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، لذا سعت الصهيونية جاهدة لإثارة التنافس الإستعماري.

أ) خلفيات دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى 1914م

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى انقسم العالم إلى جبهتين هما :دول **الحلفاء أو الوفاق** وتتكون من: فرنسا بريطانيا وروسيا، أما الجبهة الثانية في دول **المحور**: ألمانيا والنمسا، وبعد دخول

---

(1) انظر الملحق رقم4.

(2) محمد فريد باي المحامي، مصدر سابق، ص ص 806 807.

(4) هو من أصل يهودي كان من بين أعضاء جمعية الإتحاد والترقي وهو من ضمن الجماعة التي عولت السلطان عبد الحميد الثاني. – آق قند ز وأوزترك، مرجع سابق، ص 459.

(4) حسان حلاق، مرجع سابق، ص 325.

(5)يلماز أوزتونا، مرجع سابق، ج 2، ص 236.

الدولة العثمانية إلى الحرب مع دول المحور قطعت علاقتها الدبلوماسية مع دول الحلفاء، إلا أن الأمر اللافت للانتباه هو دخولها غمار الحرب دون علم سلطانها **محمد رشاد** ودون علم الصدر الأعظم، فقد تسلمت كل هذه الأجهزة الحكومية هذا القرار من جماعة الإتحاد والترقي[1].

لقد أقحم أنصار الحرب من رجال الإتحاد والترقي الدولة العثمانية في حرب أوروبية لا ناقة لها فيها ولا جمل، وتقول بعض المراجع أن ألمانيا دفعت للإتحاد في حدود الخمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية مقابل دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها[2]، هذه السياسة الألمانية كان لها أهداف خفية تمثلت في تهديد السيطرة البريطانية على الهند[3],

أما الصهاينة فكانوا يلعبون على الجبهتين ،لأن كل هذه الدول كانت ميدانا للنشاط الصهيوني قبل قيام الحرب، إلا أن الصهاينة تعاطفوا مع بريطانيا لأن في ذلك تحقيق لأمانيهم في فلسطين، وكذا توزيع جهودهم في كامل دول أوروبا ،محاولين توجيه التيارات السياسية والفكرية وحتى الإقتصادية لصالح أهدافهم.

وبدخول الدولة العثمانية الحرب وانتصار بريطانيا عليها كان قد غدا الأمل لتحقيق آمال الصهيونية لأن ذلك سيؤدي إلى تقسيم أملاك الدولة العثمانية وبالتالي سيتسنى لبريطانيا تنفيذ مقررات مؤتمر كامبل بانرمان الإستعماري وتحقيق المشروع الصهيوني في آن واحد[4].

كان دخول الدولة العثمانية الحرب كان من تدبير الصهيونية ،وهذا باعتراف أعضاء جمعية الإتحاد والترقي، حيث اكتشفوا أنهم وقعوا تحت تأثير الماسونية والصهيونية فأضاعوا أنفسهم وبلادهم، وفي هذا الصدد يقول أيوب صبري أحد القادة الاتحاديين العسكريين: " لقد وقعنا في شرك اليهود عندما نفذنا رغباتهم عن طريق الماسونيين لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية في الوقت الذي عرض فيه اليهود 30 مليون ليرة ذهبية على السلطان عبد الحميد لتنفيذ مطالبهم إلا أنه لم يقبل بذلك[5].

---

(1) يلماز أوزتونا، مرجع سابق، ج2 ص 236.

(2) محمود شاكر، مرجع سابق، ص 218

(3)Lewis Bernard. **The emergence of modern turkey royal instritute**. International affairs. U.k. u.s.a. 1968. P 244.

(4)حسن صبري الخولي، مرجع سابق، ص ص 117 118.

(5)أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، صر ص 228 229.

ب)التسويات الدولية للدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى:

خلال الحرب العالمية الأولى أصبحت الدولة العثمانية مسرحا للتنافس، حيث قامت دول الحلفاء بعقد اتفاقيات لتقسيمها من بينها:

اتفاقية الأستانة 18 مارس 1915م:الموقعة بين روسيا وفرنسا وبريطانيا، وقد حصلت روسيا على البوغازين والأستانة إضافة إلى الشاطئ الغربي للبسفور وبحر مرمرة والدردنيل، وكل ما تبقى للدولة العثمانية من أرض في أوروبا.واتفق المؤتمرون على أن تكون الأستانة ميناءا حرا لدول الوفاق ،و لروسيا حرية الملاحة في البوغازين ، كما تم الاتفاق على فصل الأراضي الإسلامية المقدسة في الحجاز وباقي شبه الجزيرة العربية ووضعها تحت حكم عربي مستقل.

معاهدة لندن 26 آفريل 1915م:عقدت هذه المعاهدة بين دول الوفاق وإيطاليا التي وعدت بكامل السيادة على ليبيا وجزر الدوديكانيز، وبالحصول على جزء من ساحل الأنضول.

اتفاقية سايكس بيكو 16 مارس 1916م: جاءت هذه الإتفاقية من أجل تقسيم مناطق النفوذ العربية الخاضعة للدولة العثمانية بين الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا وروسيا، وكان ذلك عندما اتجه ممثل عن بريطانيا مارك سايكس، وآخر عن فرنسا جورج بيكو إلى روسيا لإجراء محادثات بخصوص هذا الشأن، وقد كانت بريطانيا قد تعهدت بوضوح في مراسلاتها مع الشريف حسين وبما لا يدع مجالا للشك بالاعتراف باستقلال العرب في المشرق لكن ذلك لم يمنعها من الدخول في مفاوضات مع حلفائها حول مصير تلك المناطق، وبنود الإتفاق تناقض ما قطعته من وعود للعرب[1]،حيث حصلت فيها روسيا على ولايات أرضون وشمال كردستان، وحصلت فرنسا على سوريا وجنوب شرقي الأنضول وكذا حقول نفط الموصل، وحصلت بريطانيا على جنوب العراق وميناء حيفا وعكا في فلسطين، لكن روسيا كانت قد خرجت من الإتفاقية بسبب الثورة البلشفية[2].

ولم تكتف الدول الأوروبية بهذه الإتفاقيات ،بل راحت تستميل الحكام العرب بالوعود الكاذبة مثلما قامت به بريطانيا مع الشريف حسين، حيث وعدته بدولة عربية في المشرق إذا ما أعلن الثورة ضد الأتراك، وكان هذت بموجب مراسلات الشريف حسين مكماهون في م1915.

(1) صبري جريس، مرجع سابق، ص ص 275 276.

(2)إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص ص 222 223.

لقد أدى قيام الثورة في روسيا في مارس 1917م واستيلاء البلاشفة على الحكم في أكتوبر من نفس العام وانسحابهم من الحرب وإعلانهم تخليهم عن نصيبهم من تركة الدولة العثمانية إلى فشل هذه الإتفاقيات.

هنا نقول أن الصهيونية ليست وحدها المسؤولة عن إقحام الدولة العثمانية في هذه الحرب، إنما هناك من شاركها المسؤولية وفي المقدمة ألمانيا، جمعية الإتحاد والترقي (لرغبتها في إعادة الثقة التي فقدتها منذ استيلائها على مقاليد الحكم، العروض المالية الضخمة التي قدمتها ألمانيا حيث اعتبروها فرصة لإخراج الدولة العثمانية من الضائقة المالية التي أوقعوها فيها)[1].

(1)عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص 119.

3) وعد بيلفور 2 نوفمبر 1917

أ)جهود الصهاينة قبيل إعلان الوعد

أعلن المؤتمر الصهيوني الحادي عشر عام 1913، وقوف المنظمة الصهيونية على الحياد بين المعسكرين المتنازعين في أوروبا، لكن المنظمة واجهت موقفا صعبا عقب نشوب الحرب العالمية في خريف 1914م، حيث لم يتعاطف الصهيونيون واليهود الروس مع الجهود القيصرية وتمنوا هزيمتها ,وبادر المجلس الصهيوني في كوبنهاغن إلى التأكيد على حياد المنظمة، وبهذا نجحت المنظمة في كسب تأييد كم هائل من الصهاينة في أوروبا وأمريكا، مما ضمن للصهيونية تحقيق أهدافها مع المنتصر في الحرب، وقد تجسد ذلك من خلال تكريس جهودهم في كل من الو م أ وبريطانيا للحصول على تعهد من الحلفاء للاعتراف بفلسطين على أنها كومنولث يهودي يفتح الهجرة في حالة هزيمة الدولة العثمانية في الحرب.

رغم هذه الجهود ،إلا أن الصهاينة لم ينجحوا في التأثير على بريطانيا في السنتين الأولى والثانية من الحرب، فبريطانيا لم تتمسك بفلسطين خلال اتفاقيات الحرب التي ذكرناها سابقا ،كي لا تثير عناد فرنسا وروسيا، كما أنها لم تسمح لهما أن تضعا يديهما على فلسطين، حيث تقرر خلال اتفاقية سايكس –بيكو وضع فلسطين تحت حكم دولي يتمتع اليهود في ظله " بالمساواة السياسية والدينية والمدنية" وليس أكثر من ذلك.

في عام 1917م أحرزت الصهيونية بعض النجاح بفضل الدور الذي لعبه هربرت صموئيل Herbert Samuel، حيث عرض على بريطانيا مذكرة في مارس 1915م شرح فيها المزايا التي قد تحصل عليها بريطانيا نتيجة بسط حمايتها على فلسطين إلا أنه لم يجد صدى لدى رئيس وزراء بريطانيا ،الذي لم يكن يعطف على الحركة الصهيونية لكنه وجد صدى بعد استقالة وزارة آسكويث Asquith في ديسمبر 1916م ومجيء وزارة لويد جورج وبيلفور وميلها إلى الصهيونية.(1)

(1)عمر عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص 495 وما بعدها.

ب) إعلان وعد بلفور 02 نوفمبر 1917:

بعد مجيء وزارة لويد جورج إلى الحكم جرت مفاوضات للمرة الأولى بين الزعماء الصهيونيين ومندوب معتمد من الحكومة البريطانية، ومن بين الحضور كان اللورد روتشلد وهربرت صموئيل وآخرون، وافتتح أحد الحاضرين الاجتماع بعبارة: "إن الصهيونية ترى تحقيق هدفها عن طريق السلطة البريطانية بمفردها"[1]وأنهى الصهاينة الاجتماع بتلخيص رغباتهم الأساسية وهي:

- اعتراف دولي بحق اليهود في فلسطين؛
- خلق جنسية قانونية للحالة اليهودية في فلسطين؛
- إنشاء شركات مساهمة يهودية في فلسطين تعطي حق امتلاك الأراضي؛
- توحيد فلسطين تحت إدارة واحدة؛
- إعلان الأماكن المقدسة في فلسطين مناطق حرة.

وفي جوان 1917م استدعى بيلفور روتشلد إلى مقره بوزارة الخارجية ،وبحث معه الأهداف الصهيونية وطلب من زعماء الصهيونية أن يقدموا له مشروعات مكتوبة عن أمانيهم، ووضعت اللجنة عدة صيغ للتصريح، لكن معظمها لم يلق تأييدا من الحكومة البريطانية لأنها كانت تفضل أن يكون التصريح مجرد موافقة على الخطوط العامة[2].

وفي 1 نوفمبر 1917م وبعد احتلال القوات البريطانية لميناء غزة أصدر اللورد بيلفور تصريحه المعروف باسمه وكان التصريح في صورة خطاب وجهه إلى وزير الخارجية اللورد روتشلد، فكان هذا الوعد بمثابة تتويج للحركة الصهيونية بزعامة حاييم وايزمن، بعد استغلاله اندلاع الحرب العالمية الأولى، وفي الوقت الذي أعلنت فيه بريطانيا سياستها الماكرة حدث أمران مهمان وهما:

1. دخول أمريكا الحرب رسميا في 1917م؛
2. إقبال شباب اليهود في روسيا على ما يسمى بالثورة البلشفية الروسية، ودعوتهم للإنخراط في صفوف الحزب الشيوعي، هذا ما دفع بالجنرال ماكدوف قائد المخابرات البريطانية إلى طلب الإسراع لإعلان فلسطين وطنا قوميا لليهود، لكي يتجه الشباب نحو العقيدة الصهيونية الرجعية

(1) عمر عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص 497 وما بعدها.

(2) نفسه، ص ص 500 501.

الموالية للإستعمار، وعدم الخوض في الأحزاب السياسية.ومن هذا المنطلق تم الإعلان عن وعد بيلفور في 2 نوفمبر 1917م[1].

وجاء في التصريح: عزيزي اللورد روتشلد:

يسرني سرورا كثيرا أن أنهي إليكم نيابة عن حكومة جلالته التصريح الآتي الذي يعلن العطف على المطامع اليهودية، وقد عرض هذا التصريح على الحكومة البريطانية فوافقت عليه.

"إن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى، وأكون ممتنا لكم لو أبلغتم هذا التصريح إلى الإتحاد الصهيوني[2].

وبسبب هذا الوعد وجدت الدولة العثمانية عامة والأمة العربية خاصة نفسها بين شفي الرحى في عام 1919م، بين زحف فرنسي مسلح يوشك أن يبدأ لاحتلال سوريا تنفيذا لاتفاق سايكس – بيكو، وزحف صهيوني محسوب الخطى باحتلال فلسطين في المدى البعيد تنفيذا لوعد بيلفور.

ج) رد فعل الدول الأوروبية وأمريكا على هذا الوعد:

لقد عرض نص الوعد على الرئيس الأمريكي ويلسون ووافق عليه قبل أن ينشر، ووافقت على هذا النص رسميا كل من فرنسا وإيطاليا عام 1918م، ثم وافق عليه الرئيس الأمريكي ويلسون رسميا في 1919م. وفي عام 1920 وافق عليه مؤتمر سان ريمو الذي عقده الحلفاء لوضع خريطة جديدة للعالم بعد الحرب، وفي نفس هذا العام دخل هذا النص ضمن معاهدة سيفور، حيث تضمنته الماد رقم 95 من هذه المعاهدة[3]، والجدير بالذكر أن هذا التصريح ظهر في الوقت الذي ارتبطت فيه بريطانيا مع الشريف حسين في اتفاقية تنص على مساعدته في إقامة دولة عربية مستقلة تظم فلسطين، وعلى

(1) شفيق رشيدات، **فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا**، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث العربي، بيروت، 1991، ص 50.

(2) عمر عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص 504.

(3) هدى درويش، مرجع سابق، ص 238.

ضوء هذا ثار العرب على الدولة العثمانية من أجل نصرة دول الحلفاء عليها في الوقت الذي أخفت فيه هذا التصريح عن العرب. وبهذا كانت ردود الفعل العربية على هذا التصريح ضعيفة، وهذا لم يمنع القيادة العسكرية البريطانية من توزيع بيان في نوفمبر 1918م جاء فيه:

إن هدف بريطانيا وفرنسا من الحرب في الشرق الأدنى هو تحرير الشعوب من سيطرة الأتراك، وحق السكان في إقامة حكومات وطيدة، واختلطت أسباب وأهداف الوعد والنتيجة واحدة هي تفكيك الدولة العثمانية والسيطرة على المنطقة العربية، لتوضح هذه النتائج في قالب **معاهدة سيفر** 1920م،التي نصن على تنفيذ وعد بيلفور:

1. العمل على تشكيل مجلس يهودي دائم في فلسطين بعد رفض السلطان عبد الحميد الهجرة إلا بشروط؛
2. جعل اللغة العبرية لغة رسمية في البلاد، وفتح الجامعة العبرية؛[1]
3. تنازل السلطان نهائيا عن الأراضي العربية للحركة الصهيونية ولبريطانيا وفرنسا.

وكل ما سعت إليه الدول الأوروبية الإستعمارية والحركة الصهيونية تجسد على أرض الواقع، حيث أصبحت ممتلكات الدولة العثمانية مقسمة بينهم تحت شعار: الإنتداب، الحماية والوصاية، إلا أنها تبقى تصب في قالب الإستعمار، مثل الإستعمار البريطاني في العراق، الإحتلال الفرنسي في سوريا ولبنان.أما بالنسبة لفلسطين فكانت هذه الفترة بحق فترة التمكين للصهيونية وإحاطتها بضمانات وصفت بأنها دولية. وعلى الرغم من ذلك فإن الصهيونية أثبتت قدرتها على ربط مصلحتها في فلسطين بمصالح بريطانيا، واستغلال ظروف الحرب العالمية الأولى، وضعف مركز الحلفاء في عامي 1916 – 1917م لتحقيق مآربها حتى استطاعت في أقل من ست سنوات (1914- 1920م) أن تدعم موقعها فحصلت على وحد بيلفور، وأملت شروط الإنتداب على فلسطين، وأخذت حقوق الشرعية والالتزام الدولي بإدراجها في ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة سيفر التي تم التوقيع عليها في 1920/08/10م.

وقد أدرك العرب الخداع الذي كانت تمارسه بريطانيا معهم، وفي هذا الصدد يوقفنا قول الشريف حسين: " لقد تجاهلت النقد الذي تلقيته من مسلمي تركيا بشأن علاقاتي مع بريطانيا، وقد وجدت

---

(1)المرجع نفسه، ص 240 وما بعدها.

في الاستجابة لدعوة بريطانيا لي لإعلان الثورة تجديدا لمجد العرب، وإرضاءً لمشاعر المسلمين، فكانت نتيجة ذلك نهاية العرب ونهاية تركيا على السواء"[1].

(1) هدى درويش، مرجع سابق، ص 244.

المبحث الرابع: سقوط الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية

لقد كشف الزمان القناع عن بطانة الاتحاديين (جماعة الإتحاد والترقي) التي كانت تتحكم في زمام الأمور بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني، حيث أن هذه الجماعة كانت تسيرها اليهودية والماسونية، والتي اتخذت منها معولا لهدم الخلافة العثمانية.

في الواقع إن جمعية الإتحاد والترقي التي أزاحت السلطان عبد الحميد من فوق عرشه هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك، فشهدت البلاد من المآسي ما لم تشهده خلال ثلاثة وثلاثين سنة من حكم السلطان عبد الحميد الثاني، لفظ فيها العديد من المواطنين المخلصين أنفاسهم الأخيرة على أعواد المشانق التي نصبت في مختلف أنحاء البلاد، إضافة إلى المظالم التي وقعت على العرب خلال نفس الفترة والتي كانت مقصودة، حيث أشاعوا الفرقة بين العرب والترك، فقام الشريف حسين بتعاون مع الإنجليز للدخول في حرب ضد تركيا، وجاء الإستعمار الأوروبي ليحتل بلاد العرب مكافأة منه على مساعدتهم له في الحرب العالمية الأولى.

1) كمال أتاتورك ودوره في إسقاط الخلافة:

بعد أن كانت الدولة العثمانية في مواجهة مع العديد من القوى الخارجية المتربصة بها، هاهي تجد نفسها تواجه من هم من صلبها وهو أحد أبنائها الذين تربوا من أجل خدمتها، فقدم خدماته لأعدائها.

أ) الصراع الكمالي ضد السلطة الشرعية:

إن السلطة الحقيقية انتهت مع عبد الحميد، فأخواه اللذان خلفاه لم يكونا إلا ظلال حكام، وبهذا لم يكن الأتراك أفضل حالا مما كانت عليه الشعوب العربية، فقد نجح الغربيون في اختراق صفوفهم وغزو عقولهم، حتى خرج من بينهم من يضرب الخلافة العثمانية في عقر دارها[1]

(1) موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص 265.

وهو **مصطفى كمال أتاتورك**[1]، هذه الشخصية العسكرية التي لفتت أنظار الدول الغربية خاصة منها بريطانيا، وكذا جمعية الإتحاد والترقي والماسونية، هذا ما جعله شخصية ماسونية، فكان أداة لخدمة أغراض الصهيونية والدول الإستعمارية.

أول ما دخل مصطفى كمال أتاتورك غمار السياسة كان بإنشاءه لجمعية ثورية في دمشق إلا أنها لم تكن تربة صالحة لزرع أفكاره الثورية، حيث لقي معارضة شديدة من طرف أهلها، ولهذا أدرك أنه لن يتمكن من تحقيق أهدافه إلا في موطنه سلانيك، وعند عودته لسلانيك سمع بمنظمة سرية اسمها جمعية الإتحاد والترقي. فلما رأى أعضاء الجمعية ميولاته الثورية قاموا بدعوته إلى الانضمام إليها وهو بدوره لم يتردد في تلبية دعوتهم.

وقد بدأت علاقته بالإنجليز عقب مجموعة من الأحداث التي عمت بالدولة العثمانية داخليا وخارجيا، حيث ثبت للإنجليز أهلية هذا الرجل للقضاء على الدولة الإسلامية، حيث قاموا بتقريبه من السلطان محمد وحيد الدين وترشيحه ليتولى قيادة الثورة الوطنية التي قامت في الأناضول (حيث احتل الحلفاء إستانبول عقب إبرام هدنة مودروس عام 1918م)[2]، وقد أثبت مصطفى كمال لبريطانيا ولاءه في أول فرصة أتيحت له، حيث شرع في تنفيذ أول جزء من المهمة الموكلة له، عندما كان في مقر قيادته في سامسون في 19 ماي 1919م، حيث ادعى أمام الجماهير الثائرة أن السلطان قد أضحى ألعوبة في يد الإنجليز، كما قال عنه أنه يفرط في مصالح البلاد.إلا أن السلطان لم يكن

(1) ولد في سلانيك عام 1880م، من أبوين ينحدران من أصول ألبانية، أمه تدعى زبيدة وأبوه علي رضا، توفي والده وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، ألحقته بإحدى المدارس الإبتدائية في سلانيك لكنه كان تلميذا مشاغبا، مما جعلها تظمه إلى سلك الجندية (المدرسة الحربية الإبتدائية) في سلانيك فنجح في دراسته، وفي السابع عشر من عمره تخرج من المدرسة العسكرية بسلانيك وأرسل ــإلى المدرسة العسكرية العليا في مناستر (حيث يوجد المحفل الماسوني الإنجليزي)، وبعد تخرجه من هذه المدرسة بعث إلى الأكاديمية الحربية في إستانبول، هنا ازداد اهتمامه بالسياسة واتضحت ميوله الثورية، وبعد ذلك التحق بكلية الأركان وتخرج منها برتبة رائد عام 1905م، أصبح رئيسا للجمهورية التركية عام 1924م، توفي عام 10 نوفمبر 1938م. – محمد محمد توفيق، **مصطفى كمال أتاتورك**، ب ط، دار الهلال، مصر، 1936، ص ص 19 20.

(2) محمود الشادلي، مرجع سابق، ص 215.

يعلم بعلاقة مصطفى كمال مع الإنجليز، فقد ظل يحسن الظن به ولم يصدق بخروجه عليه، حيث كان يعتقد أن ما يقوم به مجرد تمويه للقوات الأجنبية، وفي الأخير تبين العكس[1].

واستمر مصطفى كمال في تنفيذ الخطة التي رسمها له الإنجليز، وسعى جاهدا ليظم إلى صفه كبار قادة الجيش في الأناضول، وقد منح صلاحيات واسعة كمفتش عام لجيوش الأناضول، فقد كانت له صلاحيات إصدار التعليمات إلى الوحدات العسكرية وإلى الموظفين المدنيين، كما وضع خطة لإثارة عامة الشعب في تلك المنطقة، فخطت فيهم قائلا: "... لقد قرر العدو أن يدمر تركيا وطننا... وبات السلطان خليفتكم مسلوب الحول والقوة أسيرا في أيدي الإنجليز... يجب أن تنقذوا أنفسكم بأنفسكم"، وقال أيضا: "... ينبغي أن نكون مخلصين ولكن إخلاصنا وولاءنا يجب أن يكون لتركيا، أما السلطان وحكومته فهما ألعوبة في أيدي العدو الأجنبي، ومن ثم فالأوامر الصادرة من العاصمة في الواقع ليست صادرة من السلطان بل من الإنجليز، وإذن فهي غير شرعية"[2].

وبعد قضاءه عدة أسابيع وهو يخدع الجماهير الثائرة، مما خلق جوا من الحماس القومي عم جميع أقاليم الأناضول، قرر عقد مؤتمر عام في مدينة سيواس فكانت بداية المرحلة الثانية، فوجه دعوة الحضور إلى جميع منظمات المقاومة في مختلف أنحاء البلاد عن طريق برقيات هذا نصها: " إن الوطن مهدد والحكومة لم تعد قادرة على القيام بوظيفتها وتأدية واجبها، واستقلال بلادنا لن يتيسر الاحتفاظ به إلا بإرادة الشعب ومجهوده، لذلك تقرر عقد مؤتمر وطني عام في سيواس للمناقشة في الوسائل والأساليب الكفيلة ببلوغ هذه الغاية، وفي وسع كل إقليم أن يرسل عنه ثلاثة من المندوبين وليحرصوا على السرية التامة "[3].

وكان هدف مصطفى كمال هنا هو توسيع نطاق حركته، وكسب المزيد من المؤيدين لها، وعندما وصلت أنباء هذه التحركات إلى إستانبول، أرسلت وزارة الحربية في استدعاءه إلا أنه رفض الإجابة، وقد تكرر ذلك عدة مرات، وقد أظهر الحلفاء في إستنبول وفي مقدمتهم الإنجليز احتجاجهم على ما يحدث في الأناضول، وهددوا بالتدخل العسكري إذا لم تضع الحكومة حدا لنشاط مصطفى كمال كما طالبوا بإقالته من وظيفته.

(1)هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص ص 355 356.

(2) المرجع نفسه، ص 357.

(3) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 357.

وقد غير الإنجليز موقفهم حتى لا يدعوا مجالا للشك في علاقتهم مع مصطفى كمال أتاتورك، وكذا حتى يضمنوا انقطاع صلته مع الحكومة العثمانية، وأيضا حتى يزداد تشبث مصطفى كمال بالثورة وهذا بعد إقالته من عمله لأنه لن يتحمل أن يصبح مواطنا عاديا مجردا من السلطة، سيما وأن الإنجليز قد عرفوا عنه نزعته الشديدة تجاه السلطة والزعامة، وقد تحقق هذا للإنجليز بعدما زاد تمرد مصطفى كمال وعدم تنفيذه لأمر إقالته، مع العلم أن السلطان محمد وحيد الدين لم يكن قد وقع بعد على قرار الإقالة لأنه لم يصدق خروجه عن إمرته، وقد أرسل إليه برقية يدعوه فيها للحضور من أجل تقديم تقرير واضح عن نشاطه إلا أن مصطفى كمال لم يستجب، وأعلن استقالته من الجيش بعبارات تنم عن التمرد، وهنا لم يكن أمام السلطان غير توقيع قرار الإقالة في 08جويلية من العام 1919م[1].

وقد قام مصطفى كمال بعقد المؤتمر الوطني في 4 سبتمبر 1919م،وانتخب هو رئيسا له، استطاع فيه إقناع المتمردين بتشكيل لجنة تنفيذية تتولى عمل الحكومة المؤقتة، وانتخب أيضا رئيسا لها، وقد اشترطوا عليه عدم مواجهة الحكومة الشرعية بالعداء وعدم تعريض البلاد لحرب أهلية[2]، وبهذا استطاع كمال أتاتورك إقناع الجموع بأهليته لقيادتهم.وبعد نهاية المؤتمر أعلنت جميع الدوائر الرسمية العسكرية والمدنية في الأناضول بأنها سوف تكون مرتبطة به، وقطع الإتصال بين الأناضول وإستانبول، وأمر بتحويل جميع الإيرادات والمراسلات الحكومية إليه[3].

وأرسل إلى السلطان باسم اللجنة التنفيذية للمؤتمر يطلب إقالة الصدر الأعظم وجميع أعضاء البرلمان، وإجراء إنتخابات لبرلمان جديد، وكان له ذلك. وبهذا استطاع مصطفى كمال أتاتورك وأنصاره التدخل في الشؤون الداخلية للدولة من خلال وصول عدد كبير من أنصاره إلى البرلمان[4]، ليسعى بعد ذلك إلى نقل البرلمان إلى الأناضول للإقلال من مكانة إستانبول والسلطة الموجودة بها (السلطان)، إلا أن أنصاره رفضوا ذلك حتى أن بعضهم طالبه بحل اللجنة التنفيذية للمؤتمر والتوقف عن الأنشطة المعارضة للحكومة الشرعية، والكف عن التدخل في شؤون الدولة ودوائرها الرسمية[5]،

(1) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج 1، ص 259.
(2) كارل بروكلمان، مصدر سابق، ص 689.
(3) محمد كمال الدسوقي، **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية**، ص ص 420 421.
(4) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج 1، ص 260.
(5) كارل بروكلمان، مصدر سابق، ص 690.

لأن السلطان حقق لهم كل مطالبهم، وأيضا تجنبهم لحدوث فرقة بين أبناء البلاد، وبالفعل تم لهم ذلك حيث ذهب النواب إلى العاصمة في 12 جانفي 1920م، وافتتح المجلس النيابي الجديد ، وبعثوا إلى السلطان برقية أعربوا له فيها عن ولاءهم له، إلا أن الإنجليز لم يكونوا ليسمحوا بذلك، فقد هبوا لدعم كمال أتاتورك واتخذوا كل الإجراءات لإعادة أنصاره إليه، كما سعوا إلى إضعاف موقف السلطان وإظهار عجزه(1)، حيث قام الإنجليز بعد شهرين من افتتاح المجلس النيابي الجديد بالإعلان رسميا عن احتلال إستانبول بحجة عدم وضع حد لنشاط المقاومة المناوئة لهم، وألقوا القبض على عدد من النواب، وأغلقوا مقر البرلمان، كما أطلق الإنجليز النار على الشعب التركي فأصيب المئات وأعلنت حالة الطوارئ في العاصمة(2).

ومن جانب آخر تعمد الإنجليز إمداد مصطفى كمال بالسلاح الذي يلزمه وسارع هو لاغتنام الفرصة، هنا عاود كمال نشر الحماس بين أتباعه وقادة الجيش، وطلب من النواب الذين نجوا من الإعتقال القدوم إلى أنقرة لتشكيل مجلس نيابي جديد، وكان ذلك وعين هو رئيسا للمجلس.

عندما وصل الخبر إلى السلطان سارع بالتحرك لوضع حد لذلك، وصدر حكم من شيخ الإسلام بخروج مصطفى كمال وأنصاره عن الطاعة واستباحة دمائهم، قام الشعب التركي بمساندة السلطان في مختلف أنحاء البلاد، واستطاع وزير الحربية إحراز انتصارات كبيرة، حيث تمكنوا من استرجاع كل المدن التي كان قد استولى عليها الثوار، ليتحرك الإنجليز في الوقت المناسب وأعلنوا شروط معاهدة سيفر التي وافق عليها السلطان مرغما، وهذا ما أثار الشعب ضد السلطان بسبب موافقته على الشروط المذلة والجائرة للمعاهدة، وهذا ما أتاح الفرصة لمصطفى كمال وأنصاره ليتهموا السلطان بالتفريط في مصالح البلاد، وزادت شعبية كمال وأنصاره بعد انتصارهم على اليونانيين.

ب)انتصار مصطفى كمال أتاتورك على السلطان:

في هذه الفترة كان في تركيا حكومتان في نفس الوقت، **الأولى** في **إستانبول** لا حول لها ولا قوة يرأسها محمد السادس (وحيد الدين)، **والثانية** في **أنقرة** ذات سلطات واسعة يرأسها مصطفى كمال

(1) إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ص 228.

(3) محمد كمال الدسوقي، **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية**، ص 421.

وهو حاكم فعلي[1].لهذا قرر النظام الجديد في أنقرة التمرد على حكومة إستانبول بشكل مباشر مع رفض كل المعاهدات المبرمة معها، وتشكيل هيئة للدفاع الوطني التي قامت بإرسال الأسلحة والذخيرة إلى المواطنين.في هذا الوقت دعت إنجلترا لعقد مؤتمر في لندن لإعادة النظر في مؤتمر في مؤتمر سيفر، ودعت إليه كل من حكومة إستانبول وحكومة أنقرة، واتفق كمال مع اليونان على إعطاء أزمير استقلالا ذاتيا تحت حكم أجنبي، تنازل لروسيا عن باطوم، وانسحبت فرنسا من كيليكيا وإيطاليا من أنطاكيا.

في هذه الفترة جرى قتال بين الأتراك واليونانيين انتصر الأتراك فيه في معركة سقاريا مما اضطر اليونانيين إلى الانسحاب من تركيا عام 1921م[2].أما حكومة إستانبول فلم تستطع فعل شيء لأن المدينة في يد الحلفاء وهم يظهرون الحياد.

انهزم اليونانيون وهكذا ذاع صيت مصطفى كمال، فغدا رجل البلاد الوحيد، وعقد هدنة مع اليونان في صيف 1921، ولم يبق في البلاد سوى الإنجليز[3].

(1) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج 1، ص 262 وما بعدها.

(2) محمود شاكر، مرجع سابق، ص 84.

(3) إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مرجع سابق، ص 230.

2)إعلان الجمهورية وإلغاء الخلافة الإسلامية:

مؤتمر لوزان أكتوبر 1922م:

دعيت أنقرة وإستانبول إلى مؤتمر لوزان من أجل عقد معاهدة صلح بينهما، فرأى مصطفى كمال الوقت مناسبا لإعلان فصل السلطة عن الخلافة، وهدد بالقتل كل من يعلن رفضه، وبعد خمسة أيام جرى انقلاب في إستانبول وعزل السلطان محمد وحيد الدين، ونفي إلى جزيرة مالطا لأنه رفض أن يكون سلطانا شكليا، ونودي بابن عمه عبد المجيد (1889–1944م) خليفة للمسلمين لا ملكا في نوفمبر 1922م[1]، والتفت حوله الجماعات المناوئة لمصطفى كمال، وبعد ثلاثة أيام عقد مؤتمر لوزان وحضره وفد أنقرة فقط، ووضع رئيس الوفد الإنجليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا:

- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاما؛
- طرد الخليفة خارج الحدود ومعه جميع آل عثمان، ومصادرة أموالهم وأملاكهم؛
- وضع دستور مدني بدل الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية؛
- إعلان علمانية الدولة وقطع كل صلة لها بالإسلام.[2]

إذن كان هذا هو هدف الإنجليز من مساندتهم ودعمهم لمصطفى كمال أتاتورك وهو إلغاء الخلافة الإسلامية.

وبهذا خرج الوفدان المجتمعان من مؤتمر لوزان باتفاق، وهو أن يتكفل مصطفى كمال بهدم الخلافة الإسلامية ،ومحاربة الإسلام مقابل أن يتنازل له الإنجليز عن تركيا، لكن الإنجليز وقبل أن يمنحوا مصطفى كمال ما وعدوه أرادوا أن يتأكدوا من إتمامه لبقية الخطوات التي تضمن قطع دابر الإسلام والخلافة الإسلامية في تركيا نهائيا، هنا قام الحاخام اليهودي حاييم ناحوم (عضو من الوفد التركي في مؤتمر لوزان) بدور الوسيط بين الطرفين، حيث نقل إلى الإنجليز وعد مصطفى كمال بالغلتزام بإتمام المهام المنوطة به إذا تم الصلح ونفذ الإنجليز وعدهم، فما كان منهم إلا إتمام الصلح ومنحه استقلال تركيا وسحب جيوشهم منها.

---

(1) سليمان بن صالح الخراش، مرجع سابق، ص 84.

(2) المرجع نفسه، ص 84.

أ) إعلان الجمهورية التركية:

لقد كان مصطفى كمال حريصا على الوفاء بوعده للإنجليز، ولعل السبب في ذلك هو ما يحمله مصطفى من كيد للإسلام والمسلمين، وبالتالي إرضاء لنزعاته الشخصية.وبعد أن تم الصلح قام مصطفى كمال بتحريض الوزراء على الإستقالة بحجة تدخل النواب في اختصاصاتهم، ومحاسبتهم لهم في كل صغيرة وكبيرة، وعندما اجتمعت الجمعية الوطنية لتشكيل حكومة جديدة، كثر بين أعضائها الجدل والشجار وسادت الفوضى، وبإيعاز من مصطفى كما اقترح أحد أنصاره استدعاءه ليحل المشكل فوافق الجميع ووافق مصطفى كمال بشرط أن يقبل رأيه بلا مراجعة[1].

وفي 29 أكتوبر 1923م حضر مصطفى كمال إلى مقر الجمعية، وصعد المنبر وقال: "لقد أرسلتم في طلبي كي أنقذ الموقف في لحظة حرج من صنعكم أنتم، فليس منشأ هذه الأزمة أمر عابر بل خطا أساسي في نظام حكومتنا... لذلك أقرر أن تصير تركيا جمهورية لها رئيس يختار بطريق الإنتخاب"، فذهل الجميع لهذا القرار، وبالرغم من امتناع 40بالمائة من النواب عن التصويت لهذا القرار، إلا أن الأمر قد أُقِر، وانتخب مصطفى كمال رئيسا للجمهورية التركية[2].وتم إعلان الجمهورية التركية من قبل المجلس القومي الأعلى (المجلس النيابي) في الساعة الثامنة والنصف مساءًا من يوم 20 ربيع الأول 1342هـ/ 30 أكتوبر 1923م، وانتخب مصطفى كمال أتاتورك رئيسا من قبل 158 نائبا اشتركوا في التصويت، وفي اليوم التالي أطلقت في سماء أنقرة وإستانبول، وغيرهما من المدن التركية(101) طلقة مدفع ابتهاجا بهذا الحدث[3],وهكذا تحققت لمصطفى كمال السلطة المطلقة التي كان يسعى إليها، فقد أصبح الحكم الرسمي للبلاد، علاوة على كونه رئيسا لمجلس الوزراء، ورئيس الجمعية الوطنية، والقائد العام للقوات العسكرية.

وهكذا لم يبق لمصطفى كمال غير تنفيذ الوعد الذي قطعه للإنجليز ولنفسه أيضا، وهو القضاء على الخلافة الإسلامية، وقطع صلة تركيا بالدين الإسلامي، لأن الخلافة الإسلامية والتي تعتبر الحارس والذائد عن حمى الدين الإسلامي، والعقد الذي ينظم الشعوب الإسلامية، فإن بقاءها ولو شكليا يعتبر خطرا على المخططات الصهيونية والاستعمارية، وكذا مخططات مصطفى كمال نفسه.

---

(1) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 391.

(2) علي حسون، مرجع سابق، ص 226.

(3) سليمان بن صالح الخراشي، مرجع سابق، ص 87.

لم تكد قبضة مصطفى كمال أتاتورك تهيمن على زمام حكم البلاد حتى وجه اهتمامه نحو إلغاء الخلافة، سيما وقد لاحظ أن الكثير من العلماء ورجال السياسة قد أخذوا يلتفون حول الخليفة عبد المجيد في إستانبول، وأصبحوا بمثابة حزب معارضة يشكلون خطورة عليه خاصة بعد افتضاح نواياه إثر الانقلاب الذي أقدم.

ب) إلغاء الخلافة الإسلامية:

لقد اتخذ مصطفى كمال عدة إجراءات من أجل تنفيذ الأمر الذي اعتزمه، ومن ذلك أنه أمر بإلغاء المظاهر الرسمية التي كانت تحيط بموكب الخليفة أثناء ذهابه لتأدية الصلاة، وأثناء استقباله للشخصيات الإسلامية، وقام بتخفيض المخصصات المالية التي كانت تصرف للخليفة وأسرته، كما أصدر قرارا بنقل العاصمة من إستانبول إلى أنقرة، وبهذا حرمت إستانبول من مركز شغلته قرابة الخمسة قرون كعاصمة للدولة الإسلامية، محاولة منه لطمس كل ما يرتبط بهذه المدينة من ماض حافل بالأمجاد، هذا عدا كونها مقر علماء الدين، وأيضا الخلافة الإسلامية في تركيا[1].

عندما استكمل مصطفى كمال بناء خطته قام بتوجيه الضربة القاضية نحو الخلافة الإسلامية، حيث قدَّم للجمعية الوطنية في 03 مارس 1924م مرسوما يقضي بإلغاء الخلافة ونفي الخليفة وجميع أبناء البيت العثماني إلى خارج البلاد[2]، وفصل الدين عن الدولة، فوافقت الجمعية على هذا القرار من غير مناقشة.وقد تم إخراج السلطان عبد المجيد الثاني من البلاد، حيث جاءت سيارة إلى قصره في منتصف الليل بصحبة حامية من رجال البوليس والجيش، فحملوه في ثياب نومه، واقتادوه إلى خارج الحدود، وبعد يومين حشد جميع أمراء وأميرات آل عثمان ورحلوا خارج البلاد[3].هكذا استيقظ العالم الإسلامي في صباح اليوم التالي على فاجعة كبيرة لم تحل منذ بزوغ فجر الإسلام، وهي زوال الخلافة الإسلامية وسقوط دولتها.

رغم كل ماكان يعرف عن مصطفى كمال أتاتورك من نوايا سيئة تجاة الإسلام والمسلمين والخلافة الإسلامية، إلا أن أحدا لم يتوقع منه أن يمس الخليفة بسوء، وعم بهذا العالم الإسلامي موجة من

(1) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة أسلامية مفترى عليها**، ج 1، ص 307 وما بعدها.

(2) آق قندز وأوزتورك، مرجع سابق، ص486.

(3) سليمان بن صالح الخراش، مرجع سابق، ص 88.

الأسى والحزن الشديدين، وبكى المسلمون عزهم الذي ضاع، ووحدتهم التي مزقت وكرامتهم التي أهدرت.

لقد بكى الخلافة كل المسلمين وفيها يقول أحمد شوقي:

عادت أغاني العرس رجع النواح ونعيت بين معالم الأفراح

كفنت في ليل الزفاف بثوبه ودفنت عند تبليج الإصباح

ضجت عليك مآذن ومنابر وبكت عليك ممالك ونواح

الهند والهة ومصر حزينة تبكي عليك بمدمع سحاح

والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ماح.

وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يبكون دولتهم كانت الصهيونية والمحافل الماسونية والدول الإستعمارية تظهر فرحتها بذلك، وهذا لزوال العقبة التي كانت تحول بينهم وبين مخططاتهم في ديار المسلمين، وقد أعرب أقطاب الماسونية عن فرحتهم وافتخارهم بكمال أتاتورك الذي حقق لهم أهدافهم في قولهم: "إن الإنقلاب التركي الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة فقد أبطل السلطة وألغى الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى دين الدولة الإسلام، وألغى وزارة الأوقاف، أليس هذا الإصلاح هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة؟ فمن يماثل أتاتورك من رحالات المسونية سابقا ولاحقا؟"[1].

ج) إجراءات أتاتورك العلمانية اللادينية:

بعد إعلان الجمهورية وإلغاء الخلافة الإسلامية بدأ أتاتورك ينفذ سياسته الدكتاتورية الإستبدادية التي استهدفت استئصال جذور الأمة التركية، وقطع كل مالها من صلة بالإسلام، ثم تغريب الشعب التركي المسلم، وصبغ كل أعماله بالصبغة اللادينية،لذلك فقد مضى في اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالوصول إلى هذه الغاية، فقام بإلغاء المشيخة الإسلامية والمحاكم الشرعية[2].

(1) إسماعيل كيلاني، مرجع سابق، ص195.

(2) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج 2، ص 1020.

ولذا اعتمد العمل بالقانون المدني السويسري، والجنائي الإيطالي، والتجاري الألماني، وألغى وزارة الأوقاف، قلص عدد المساجد، وأغلق أشهر مسجد في إستانبول وهو مسجد آيا صوفيا الذي حوله إلى متحف... وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدل الجمعة، حتى أنه غير نص القسم الذي يقسم به رجال الدولة عند توليهم لمناصبهم فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب بدلا عن الحلف بالله كما كان معمولا به من قبل[1].

كما تدخل الكماليون في لباس المسلمين وزيهم الذي اعتادوا عليه ففرضوا عليهم الوي الغربي سواء بالنسبة للرجال أو النساء، فبالنسبة للرجال فهم لم يسمحوا إلا لعلماء الإسلام بارتداء زيهم، وهذا داخل المسجد فقط (وأطلقوا عليهم اسم رجال الدين)، وفرضوا عليهم لبس القبعة الإفرنجية بدل الطربوش، وهذا ما أدى إلى حرب دموية راح ضحيتها الآلاف من المسلمين الأتراك قطعت رقابهم وعلقوا على أعواد المشانق لرفضهم لبس القبعة التي كانوا يرونها علامة كفر، غير أنها فرضت عليهم بالقوة[2].

أما بالنسبة للمرأة فقد فرض عليه نزع الحجاب والتشبه بالنساء الغربيات في الاختلاط والإباحية.وتدخل الكماليون أيضا في العلاقات الزوجية، فحرموا الطلاق وتعدد الزوجات، وجعلوا نصيب المرأة في الإرث مثل نصيب الرجل وأطلقوا لها العنان باسم الحرية والمساواة[3].

وتوثيقا لعرى الإتصال بالغرب أصدر أتاتورك قانونا يقضي بكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدل العربية، وما كان مطبوعا بالغة العربية فقد صدّر إلى مصر وفارس والهند، مما فصل بين الشعب التركي وتراثه وهذا كان الأخطر[4].وبهذا أصبح القرآن مترجما إلى اللغة التركية، ومنع الحج سنوات طويلة، وأصدر قرارا بإزالة كل العلامات والنقوش الإسلامية والمدائح السلطانية عن كل مباني الدولة، وأحل محلها صورة الذئب (رمز الأتراك القدماء الوثنيين)[5]. كما استبدل العبارة في الدستور التي تقول

(1) محمد كمال الدسوقي، **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية**، ص 429 وما يعدها.
(2) سلمان بن صالح الخراش، ص ص 90 91.
(3) المرجع نفسه، ص ص 92 93.
(4) كارل بروكلمان، مصدر سابق، ص 700
(5) هيلة بنت سعد، مرجع سابق، ص 400.

أن الإسلام هو دين الدولة، وأحل محله عبارة إن جمهورية تركيا جمهورية وطنية علمانية، مع أن 95 بالمائة من سكانها كانوا يدينون بالإسلام[1].

ولمواجهة رد فعل المسلمين الداخلي الذي أخذ يتصاعد مع استمرار كمال في تنفيذ سياسته العلمانية، ولقمع حركات المعارضة التي كان يتزعمها خصومه السياسيون أصدر في مارس 1925م قانونا يسمى (قانون إقرار الأمن والسكون)، كان يقضي بمنع أي منشورات تتضمن نقدا لسياسة الدولة الداخلية أو الخارجية، كما نص على منع إنشاء الجمعيات السياسية التي يكون الدين أساسا أو وسيلة أو مظهرا لها، ووصف إنشاءها والاشتراك فيها بالخيانة الوطنية.

وقام بفتح باب تركيا على مصراعيه ليدخل منه علماء اليهود الذين نبذتهم ألمانيا، واستقبلهم واستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية على الأساليب العلمية العصرية[2]، واستدعى ما يزيد عن أربعين أستاذا لتوسيع أقسام تلك الجامعة. وبهذا أحالت خطة مصطفى كمال تركيا إلى مزرعة يهودية تتحكم فيها الدولارات اليهودية ذات الوجه الأمريكي، وبعد أن نزع عنها ثوب الإسلام الذي أوصلها إلى ذروة المجد، غدت تركيا من غير وزن في الميزان الدولي ليس لها من رسالة سوى خدمة الصهيونية والدول الغربية الكبرى، وحين قامت إسرائيل الدولة المغتصبة اعترف بها مصطفى كمال أتاتورك باسم تركيا، وتبادلت معها التمثيل السياسي وتعاونت معها اقتصاديا لتخفف عنها الضائقة المالية الناجمة عن المقاطعة الغربية، وأخذت تركيا تفتح أبوابها وتسخر أجهزتها للدعاية اليهودية الصهيونية الماسونية ضد العروبة والإسلام.

وبعد وفاة مصطفى كمال أتاتورك تسلم دفة الحكم ساعده الأيمن عصمت اينونو الذي استمر في تنفيذ سياسة كمال الثورية الإصلاحية التي أدت إلى خراب البلاد[3].بهذاحقق أعداء الإسلام أهدافهم المنشودة منذ زمن بعيد، خاصة فئة اليهود التي تسترت بستار الإسلام والدين والحركات السياسية، وكذا شعارات العدالة، المساواة والحرية من أجل الوصول إلى الإطاحة بالدولة العثمانية.

---

(1) محمد كمال الدسوقي، **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية**، ص 430.

(2) عبد الله التل، مرجع سابق، ص 95.

(3) نفس المرجع، ص 97.

فمن اليهود إلى الاتحاديين فالكماليين تكالبوا على الدولة العثمانية الواحد تلو الآخر حتى جعلوا منها ملغاة ،والخلافة خرافة، والسياسة تلصصا،ودور كتبها التي تباع فيها أو تخزن للمطالعة كلها فضالة واجبة الإزالة، وقطعوا نسب الأمة من آبائهم القريبة العثمانية الإسلامية، وذهبوا بهم إلى آبائهم البعيدة المنسية المشركة ،مريدين من هذا القطع والانتساب قطع علاقاتهم بسائر الأمم الإسلامية أيضا.

هاهي الدولة العثمانية لم يبق يذكرها إلا التاريخ والكتب، وهاهي الدولة الإسلامية التي سعى لبنائها السلاطين العثمانيون تقضي عليها شرذمة من اليهود، لتبني فوق أرض من أراضيها دولة يهودية لا يعترف بها إلا من سعى وأيد وشارك في بناءها.

لقد اضطهد اليهود في أوروبا، فجاءوا لاجئين إلى الدولة العثمانية، فرحبت بهم ومنحتهم الحرية الدينية، وشاركتهم في جميع مجالات الحياة، فكان رد اليهود الجحود والنكران للجميل، حيث راحوا يخيطون المؤامرات والدسائس تحت شعار الإسلام ما يسمى بيهود الدونمة.

فكانت أساليبهم متنوعة للتغلغل في أوساط الدولة العثمانية، سياسية، اقتصادية وكذا أسلوب الهجرة، وهذا كله من أجل هدف واحد وهو بناء وطن قومي لليهود في فلسطين، وهذا ما سعت لتحقيقه الحركة الصهيونية بزعامة تيودور هرتزل، وما أتاح لهم الفرصة وسهل لهم الأمر هو سماحة السلاطين العثمانيين الذين نسوا أو تناسوا أن اليهود هم ألد أعداء الإسلام، وهذا ما كان على الدولة العثمانية أن تتفطن له.

وعندما تحكم اليهود في زمام الأمور داخل الدولة، راحوا يبدون استعدادهم لتقديم العون لكافة القوى الداخلية والخارجية المناوئة للدولة العثمانية من أجل تحقيق أهدافهم وأطماعهم في فلسطين. رغم الإغراءات المقدمة إلى السلطان عبد الحميد الثاني من طرف هرتزل إلا أنه بقي ثابتا على موقفه رافضا التخلي عن فلسطين لليهود.

وبعد فشل الصهيونية في إقناع السلطان عبد الحميد، غيرت طريقها نحو الدول الإستعمارية الأوروبية فاتحدت مصالحهما ،وقدمت الدول الإستعمارية الدعم للصهاينة خاصة منها بريطانيا، حيث دعمت الصهيونية ماديا، وكرست كل جهودها من أجل تحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين، وفي المقابل يرعى اليهود مصالح إنجلترا في داخل الدولة العثمانية، وبهذا عملت الدول الإستعمارية على إرباك إقتصاد الدولة العثمانية، ومن ثم إغراقها في الديون ليتسنى لها التدخل في شؤونها الداخلية.

ثم جاء مؤتمر كامبل بانرمان الإستعماري ،الذي أشار إلى ضرورة إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، بحيث يشكل قوة صديق للإستعمار، وعدوة للمنطقة مؤكدا حتمية العلاقة بين الصهيونية والإستعمار، هنا تيقنت القوى المتآمرة أنها لن تتمكن من تحقيق أهدافها إلا إذا تم القضاء على الدولة العثمانية، إلا أن القضاء عليها لم يكن مباشرا بل كان بخطى وئيدة وسياسة تدريجية.

ومن بين الأساليب التي استعملتها أيضا (الدول الإستعمارية والصهيونية) هو اعتمادها على الصحافة من أجل تشويه سمعة السلطان عبد الحميد ،بغرض تهيئة الرأي العام في الدولة العثمانية لتقبل فكرة التخلص من الحكام العثمانيين بمن فيهم السلطان الذي وقف أمام أطماعهم وأهدافهم.

ليس الغريب ما قام به الصهاينة والدول الإستعمارية، من توجيه اتهامات وافتراءات على السلطان، وإنما الغريب هو عندما صدق أبناء الإسلام هذه الأكاذيب وراحوا يرددونها غير مدركين أنهم بهذا قد أسدوا خدمة كبيرة لأعداء دولتهم، وهذا ما جعل الدعاية الإعلامية أكثر فاعلية.

وما فشل الصهاينة والدول الإستعمارية من تحقيقه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إنما حققوه في عهد حكم جمعية الإتحاد والترقي التي سيطرت على زمام الأمور بعده، وأوقعت الدولة في مزيد من الأزمات خاصة المالية.

وما زاد الطين بلة هو بروز الماسونية ،التي دخل فيها مجموعة كبيرة من جماعة الإتحاد والترقي، هذه الشبكة الماسونية من خلال محافلها سعت إلى خدمة مصالح الصهيونية، حيث أشعلت الفتن والثورات مثل فتنة الأرمن من خلال احتضانها لأخطار المنظمات الثورية المناوئة للحكومة العثمانية.

وخلال هذه الفترة ،تقدم النشاط الإستيطاني الصهيوني في فلسطين بخطوات واسعة إلى الأمام، نتيجة الدور الكبير الذي لعبته محافل الماسونية وجمعية الإتحاد والترقي في تنفيذ مخططات الصهيونية.

ولا ننسى التآمر الإستعماري الصهيوني الذي أرغم الدولة العثمانية على الدخول في الحرب العالمية الأولى التي مثلت ضربة قاضية أدت إلى سقوطها ثم تقسيم أملاكها.

وجاءت قوالب التسويات عقب هذه الحرب لتمزق أشلاء الدولة بين الحلفاء ،وكانت فلسطين من نصيب بريطانيا صاحبة وعد بيلفور أو الوعد المشئوم كما تقول بعض المصادر ،الذي من خلاله حققت الحركة الصهيونية جزءا كبيرا من مخططها الرامي لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، والذي تأكد فعلا في مؤتمر سان ريمو ومعاهدة سيفر على حق اليهود في وطن يأويهم، وضاعت بذلك الدولة العثمانية وممتلكاتها (ليبيا، سوريا، لبنان، فلسطين، العراق، الأردن...).

هذا وبعد مضي بضع سنوات برزت شخصية ماسونية يهودية تدعى **كمال أتاتورك** ،الذي كان كما يقول الماسونيين الإبن البار لهم /الذي ألغى الخلافة الإسلامية، وطرد آخر خليفة وهو عبد المجيد الثاني، وجمع آل عثمان خارج البلاد وأعلن عن قيام الجمهورية التركية العلمانية، وقام بتغريب الشعب التركي، واستئصال جذوره الإسلامية.

وفي هذا الصدد لا بد من كلمة وهي أن مكر اليهود بالمسلمين وعداءهم للعروبة ليس ابن اليوم إنما هو ابن ماض بعيد عمره أكثر من أربع عشرة قرنا، قال تعالى: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالذِينَ أَشْرَكُوا".[1]

[1] سورة المائدة، الآية 82.

قائمة المختصرات:

مختصر الكلمة	**الكلمة**
ج	الجزء
ص	الصفحة
ط	الطبعة
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
م	ميلادي
هـ	هجري
Ed	Edition
P	Page
Th	Thome
H	Habit

القرآن الكريم:

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر بالعربية:

المذكرات:

1)الأميرة عثمان أوغلي عائشة، **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، تعريب: صالح سعداوي صالح، ط1،دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1991م.

2)السلطان عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية**، تعريب وتقديم محمد حرب، ط3، دار القلم، دمشق، 1991م.

3)هرتزل تيودور، **الدولة اليهودية**، تعريب هلدا صايع، ط1، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية 1968م.

الكتب:

1) أنطونيوس جورج، **يقظة العرب**، تقديم: نبيه أمين فارس، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م.

2) بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة، أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

3) توماس إدوارد لورانس"العرب"، **أعمدة الحكمة السبعة**، ترجمة محمد النجار، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.

4) توفيق محمد محمد، **كمال أتاتورك**، د ط، دار الهلال، مصر، 1936م.

5) حليم بك إبراهيم، **التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية**، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1408ه/1988م.

6) دروزة محمد عزّة، **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، جزءان، ط2، منظمة التحرير الفلسطينية، دار البصائر، 1989م.

7) سرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار**، ج1، ط1، المطبعة اللأميرية,مصر، 1312ه/1895م

8) المحامي محمد فريد باي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق: حسان حقي، ط5، بيروت، دار النفائس، 1986م.

9) ابن منظور جمال الدين، **لسان العرب**، 15جزء، ط1، دار البصائر، بيروت.
المصادر باللغة الأجنبية:

1) Herzel Theodor **.the jewif stite** . 5 th. London. H. pordos. 1967
2) Morin Scipion. **Conduite de la France envers la terqui egrimbert et dorez. Libraires**. Paris. 1840.
3) Le duk de valmy. **Question d'orient capitulations européennes**. Imprimerie de l. tinterlin paris. 1856

المراجع:

1)أتلخان جواد رفعت، **الإسلام وبنو إسرائيل**، تعريب: يوسف والبشاه أور الكيرالي، مطبعة سويتر، الرياض، 1984م.
2)أحمد ياغي إسماعيل، **الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية**، ط2، دار المريخ، الرياض، 1983م.
3)أحمد ياغي إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط2،مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ/1998م.
4)أحمد بهاء الدين، **اقتراح دولة فلسطين وما دار حوله من مناقشات**، ط1، منشورات دار الآداب، بيروت، 1968م.
5)أحمد سوسة، **أبحاث في اليهودية والصهيونية**، دط، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م.
6)أحمد سالم رحال، **فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلموذ**، ط1، دار البداية، عمان، 2008م.
7) أحمد كمال مظهر، **أصداء على القضايا الدولية في الشرق الأوسط**، ط1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978.

8)إحسان أوغلي أكمل الدين وآخرون، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،** جزءان، ط1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستنبول، 1949م.

9)أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية،** ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح:دكتور محمود الأنصاري، ج 1_2، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستنبول، 1408هـ/1988م

10)أوغلو سنان معروف، **العراق في الوثائق – الأوضاع السياسية والإجتماعية في العراق في العهد العثماني،** ط1، دار الشروق للنشر، رام الله، 2006م.

11)بني المرجة موفق، **صحوة الرجل المريض،** د ط، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1984م.

12)التل عبد الله، **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام،** المكتب الإسلامي، بيروت، 1971م.

13) تني جاك، **الأخطبوط الصهيوني وخيوط المؤامرة لابتلاع فلسطين،** علق عليه وقدم له: هشام عواض، ط2، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.

14)جريسصبري، **تاريخ الصهيونية،** د.ط، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، 1401هـ/1981م.

15)حلاق حسن، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية،** ط2، دار الجامعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

16)حمدان جمال، **اليهود أنثروبولوجيا،** ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م.

17)الخراش سليمان بن صالح، **كيف سقطت الدولة العثمانية،** ط1، دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 2000م.

18)حسن صبري، **سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين،** ج1، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1973م.

19)الدسوقي محمد كمال، **السياسة الدولية وفلسطين**، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م.

20)دويتشر إسحاق، **اليهودي اللايهودي**، ترجمة: ماهر الكيالي، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986م.

21)درويش هدى، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية ق 20م**، جزءان، ط1 دار القلم، دمشق، 1423هـ/2002م.

22)رشيدات شفيق، **فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة التراث العربي، بيروت، فيفري، 1991م.

23)الرفاعي فؤاد، **النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية**، ط2، دار صلاح الدين، الكويت، 1407هـ/ 1987م.

24)الزغبي أحمد عبد الله، **العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها**، ج 2، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م.

25)سحاق إسرائيل، **التاريخ اليهودي-الديانة اليهودية وطأة 3000سنة-**، ترجمة صالح علي سداح، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.

26)السحمرائي أسعد، **الماسونية نشأتها وأهدافها**، ط3، دار النفائس، بيروت، 1992م.

27)الشناوي عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، أربع أجزاء،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،1980.

28)شهاب الدين فتحي، **كيف سقطت الخلافة الإسلامية**، ط1، دار النشر للخلافة،طنطا،1998م.

29)الشادلي محمود ثابت، **المسألة الشرقية -دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (1299م_ 1923)-**، مكتبة دار الهبة، القاهرة، 1989م.

30)صالح محسن محمد، **فلسطين " سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية"**، ط1، كوالالمبور_ماليزيا، ماي 2002م.

31) طقوش محمد سهيل، **العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة**، ط1، دار بيروت المحروسة.

32)طعيمة صابر،**الماسونية ذلك العالم المجهول- دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية-**، ط6، دار الجبل، بيروت، 1993م.

33)طوران مصطفى، **يهود الدونمة**، تعريب: كمال خوجة، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، 1411ه/ 1991م.

34)طوران مصطفى، **أسرار الإنقلاب العثماني**، تعريب: كمال خوجة، ط4، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.

35) العزاوي قيس جواد، **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط**، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1414ه/ 1994م.

36) عاشور مصطفى السيد، **نحن والصهيونية**، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1423ه/ 2002م.

37) عبد الهادي جمال وآخرون، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ – ليس لليهود حق في فلسطين**،د ط، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، 1981م.

38) عبد العزيز عمر عمر، **تاريخ المشرق العربي 1516-1922م**، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2014م.

39) العظم صادق جلال، **الصهيونية والصراع الطبقي**، تعريب: ماهر عسل، ط1، دار الكتاب العربي، مصر 1969م.

40) قهوجي حبيب، **إستراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة**، ط1، مؤسسة الأرض المحتلة للدراسات الفلسطينية، دمشق، 1978م.

41) الكيلاني إسماعيل، **فصل الدين عن الدولة**، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1980م.

42) المسيري عبد الوهاب، **مواليد الخفية-دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية-**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ/ 1998م.
43) المسيري عبد الوهاب، **البروتوكولات واليهودية والصهيونية**، ط3، دار الشروق، مصر، 2003م.
44) النتشة رفيق، **الإستعمار وفلسطين-إسرائيل مشروع إستعماري-**، د ط، دار الجليل للنشر، عمان، 1409هـ/ 1984م.
45) النتشة رفيق، **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين- السلطان الذي خسر عرشه من أ جل فلسطين-**، ط5، مكتبة مديولي، القاهرة، 1410هـ/ 1990م.
46) النعيمي أحمد نوري، **اليهود والدولة العثمانية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.
47) النعيمي أحمد نوري، **يهود الدونمة**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م.
48) نويهض عجاج، **بروتوكولات حكماء صهيون**، ج 2، د ط، دار التعاون للطباعة والنشر، مصر، 1387هـ/ 1967م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1) Bernard Lewis. **The emergence of modern turkey royal instritute**. International affairs. U.k.u.s.a. 1968
2) Donald quataert. **The ottoman empire. 1700-1922. Second edition. New approaches to european history**. Cambrridge2005

المجلات:

1)أتنجر صاموئيل، "اليهود في البلدان الإسلامية (1850_ 1950)"، ترجمة: د: جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: د رشاد عبد الله، نشرته: **مجلة عالم المعرفة**، العدد 197، الكويت، ماي 1996م.

2)الأنبــاري نجـــم عبـــد الأمـــير، "عبـــد الحميـــد الثـــاني والإســـتيطان الصـــهيوني في الولايـــات العربيـــة مـــن مشـــرق الـــوطن العـــربي منـــاطق الاختيـــار للإســـتيطان (فلســـطين والعراق)"، **مجلة التراث العلمي العربي**، العدد01، 2014م.

3)كـــاظم إلهـــام محمـــود، "دور يهـــود الدونمـــة في إنهيـــار الدولـــة العثمانيـــة"، **مجلـــة كليـــة التربية الأساسية**/ جامعة بابل، العدد7، أيار، 2012م.

4)محمـــود أمـــين عبـــد الله، "مشـــاريع الاســـتيطان اليهـــودي منـــذ قيـــام الثـــورة الفرنســـية حـــتى نهايـــة الحـــرب العالميـــة الأولى"، **مجلـــة عـــالم المعرفـــة**، العـــدد 74،الكويـــت، آفريل 1984.

5)محمـــد عبـــد الله عنـــان، "الصـــهيونية نشـــأتها وتطورهـــا"، **مجلـــة الرســـالة**، العـــدد 22، مصر، 1933م.

6)المســـيري عبـــد الوهـــاب،"يهـــود أم جماعـــات يهوديـــة"،مقـــال في **جريـــدة الشـــرق الأوسط** 29 جوان 1994م.

7)نصـــيرات فـــدوى، "الســـلطان عبـــد الحميـــد الثـــاني ودوره في تســـهيل الســـيطرة الصـــهيونية علـــى فلســـطين (1876_ 1909م)"، **مجلـــة المســـتقبل العربـــي**، العدد40، الأردن.

الرسائل الجامعية:

1) السليمي هيلة بنت سعد بن محمد، "**دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية،**" مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001م.

2) د. سليم رجب محمد، "**السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في مواجهة الصهيونية**"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة عمر المختار، ليبيا، 2011 2012م.

الموسوعات:

1)المسيري عبد الوهاب، **موسوعة تاريخ الصهيونية**، ج3، د ط، دار الحسام، القاهرة، 1997م.